الفصل الخامس

النظريات الخاصة بالوسيلة الاتصالية

الوسيلة الاتصالية هي أداة مادية ملموسة تنتقل من خلالها الرسالة إلى الجمهور مثل (الصحيفة ، الكتاب، الراديو ، السينما ، التلفزيون ، المسرح) ، والوسيلة في حقيقتها ليست اداة نقل فقط بل هي عامل تجسيد فني اي انها تضفي على الرسالة ابعاداً اخرى تتمثل في عناصر التشويق فضلا عن استخدام اللغة اللفظية وغير اللفظية مقرونة بابعاد صورية ولونية وحركية واشارية ، فهي تهيء استخدام الرموز بدرجات متباينة ، ويعد التلفزيون اكثر الوسائل الجماهيرية استعانة بالرموز اللفظية وغير اللفظية اذ تظهر من خلاله الرسالة مقرونة بالحركة واللون والضوء والصورة والصوت ، بينما يظهر في الراديو الصوت فقط تعاونه مستلزمات اخرى كحسن الالقاء واستخدام المؤثرات الصوتية ، اما الصحافة فانها تولي اهمية كبيرة لمسألة الكتابة التي تقوم بوظيفتها خالية من طرائق التعبير الفنية الموجودة في الصوت الانساني ، كذلك تقوم بهذه الوظيفة دون مصاحبة حركات الوجه والاشارات الجسمية الاخرى .

*ولكي تكون الوسيلة جماهيرية لابد من توفر الشروط الآتية :-

١- إن يتوفر بها عنصر الإتاحة .

٢- إن تكون رخيصة التكاليف ليتمكن المستقبل من اقتنائها.

٣- إن تتعدى في مضمونها اهتمامات ومصالح جماعات محددة وتتوجه إلى جمهور واسع ومتنوع .

٤-إن تصل إلى الجمهور بوقت مناسب .

ومرت الوسائل الاتصالية بمراحل متعددة الى ان وصلت الى ما هي عليه الان ـ كما اوضحنا ذلك في الفصل الاول ـ مستندة الى مبدأ التراكم وليس الانتهاء او الاستبعاد الكامل للمراحل التي سبقتها وهذا ما اوضحته " النظرية الانتقالية " التي ترى ان وسائل الاتصال بدءاً من العلامات والاشارات التي استخدمها الانسان الاول واتقنها ، مروراً بالكلمة المنطوقة واللغة والكتابة والطباعة ووسائل الاتصال الجماهيري الاخرى لا تتابع كمراحل قائمة بذاتها ومنتهية عبر الزمن ، ولا تزيح ما

سبقتها ، وانما تستمر جميعاً لتختلط وتتمازج عبر ظهور وتطور اطر جديدة ومتحركة من علاقات التنافس والتكامل والتداخل والتفاعل ، فعندما ظهر وانتشر الراديو ثم التلفزة ساد اعتقاد بان الصحافة المطبوعة ستندحر امام سطوة هذه الوسائل الالكترونية الحديثة ، غير ان المطبوع استطاع ان يستفيد من التقنيات الجديدة في مختلف مراحل صناعة المنتج الاعلامي المطبوع وان يوظفها ليتمكن ليس فقط من الاستمرار وانما ايضاً من المنافسة ، عبر اكتشاف مميزات خاصة به يفتقر اليها الاعلام المسموع والتلفزي ، كذلك فان الراديو ايضاً اكتشف جملة من المميزات التي تجعله قادراً على الاستمرار والتطور والمنافسة عقب ظهور وانتشار التلفزة وهكذا ، ومن ذلك يتبين لنا قدرة الانسان على تطوير وسائل واساليب الاتصال بما يحقق حاجاته النفسية والاجتماعية ، ويشير هذا الى حقيقتين اساسيتين هما :ان ثورات الاتصال قد حدثت عبر مراحل مختلفة واحدثت كل مرحلة تغييرات كبيرة في الفكر الانساني وفي تنظيم وتراكم الثقافة .

ان تطور وسائل الاتصال قد حدث في مرحلة متاخرة من التاريخ البشري واتاحت كل وسيلة اعلامية جديدة المزيد من فرص استخدام اللغة للفرد العادي ، وهكذا فان تزايد وسائل الاتصال في العصر الحديث ادى الى تطورات هائلة في خطى السلوك الاعلامي لمعظم الناس . وهناك ميزات في التطور الذي واكب عملية الاتصال في مرحلة التواصل الالكتروني اذ اصبح للوسائل الالكترونية دور مهم في حياة المجتمع واستطاع الانسان نقل افكاره ومشاعره ومعلوماته عبر المساحات اللامحدودة من خلال استخدام اجهزة المذياع ثم التلفاز واخيرا شبكة الانترنت .

ويعتقد الكاتب الانجليزي " ويلز " ان تطور التاريخ الانساني هو ظاهرة اجتماعية واحدة تدفع بالانسان الى الاتصال ، وهو بذلك ينظر الى قصة التطور التاريخي البشري على انها قصة تطور عملية الاتصال ويقسمها الى خمس مراحل هي (الكلام والكتابة واختراع الطباعة ثم الاتصال الاذاعي والتلفزيوني ثم الاتصال الفضائي والشبكي) وفي هذه المرحلة الاخيرة لتطور الاتصال اصبح للوسائل الالكترونية دورا مهما في حياة المجتمع .

. وظهرت العديد من النظريات التي ركزت على الوسائل الاتصالية اهمها :

اولاً :. نظرية مارشال ماكلوهان

لدى ماكلوها رؤية فلسفية للعملية الاتصالية، ففي عام ١٩٦٧ صاغ ماكلوهان نظريته اعتمادا على فكرة إن هناك أسلوبين للنظر إلى وسائل الإعلام من حيث:-

١ أنها وسائل لنشر المعلومات والترفيه والتعليم .

٢ أنها جزء من سلسلة التطور التكنولوجي .

فإذا نظرنا إليها من الجانب الأول فيعني ذلك إننا نهتم بالمضمون وطريقة الاستخدام والهدف من ذلك الاستخدام ، وإذا نظرنا إليها من الجانب الثاني كجزء من العملية التكنولوجية التي يحتمل إن تغير شكل المجتمع كله شأنها في ذلك شأن التطورات الفنية الأخرى ، ويرى ماكلوهان إن مضمون وسائل الإعلام لايمكن النظر إليها بشكل مستقل عن تكنولوجيا تلك الوسائل ذاتها فالكيفية التي تعرض بها المؤسسات الإعلامية موضوعاتها وطبيعة الجمهور الذي تتوجه إليه تؤثران في طبيعة الرسائل وحينما ينظر ماكلوهان إلى التاريخ يأخذ موقفا يمكن إن نطلق عليه الحتمية التكنولوجية (Technological Determinism) أي ان المخترعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر على تكوين المجتمعات ويرى ماكلوهان ان التحول الاساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدا لدى الشعوب ليس فقط في التنظيم الاجتماعي وانما في الحواس الانسانية ايضا وبدون فهم الاسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الاعلام لن نستطيع فهم التغييرات الاجتماعية والثقافية التي تطرا على المجتمعات ، فبينما كان كارل ماركس يؤمن بالحتمية الاقتصادية وان التنظيم الاقتصادي للمجتمع يشكل جانبا أساسيا من جوانب حياته يؤمن ماكلوهان بأن الاختراعات التكنولوجية الهامة هي التي تؤثر في المجتمعات وتحدث التغيير، فهو يرى ان مضمون وسائل الاعلام لايمكن النظر اليه مستقلا عن تكنولوجيا الوسائل الاعلامية نفسها وطبيعة وسائل الاعلام التي يتصل بها الانسان تشكل المجتمعات اكثر مما يشكلها مضمون وسائل الاتصال ، وكذلك يرى إن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها ستحدد طبيعة ذلك المجتمع وأسلوب تفكيره وطريقة معالجته لمشكلاته واختراع أية وسيلة جديدة تشكل ظروفا جديدة

محيطة تسيطر على ما يفعله الإفراد لذا فقد ابتكر ماكلوهان عدة مقولات تحولت إلى فرضيات هي :-

١-**الوسيلة هي الرسالة والرسالة هي الوسيلة :** إن الوسيلة هي الرسالة لان عن طريقها يتم تناقل المعلومات كذلك فانها تؤثر على السلوك الإنساني وتحدث التغيير ، بمعنى ان طبيعة كل وسيلة وليس مضمونها هو الاساس في تشكيل المجتمعات اذ يرى ماكلوهان ان الرسالة الاساسية تكمن في جهاز التلفزيون نفسه فالمضمون ليس باهمية الوسيلة في نقل المحتوى ، وان طبيعة الوسائل الاعلامية تعمل على تشكيل المجتمع وتوعيته اكثر مما تسهم فيه مضامين الرسائل الاعلامية الموجهة فتفاعله مع الواقع هو مع الوسيلة ومنظومة التغيير لديه تشكله طبيعة الوسيلة الاعلامية ، فكما يحب الناس القراءة فانهم يحبون التلفزيون بسبب الشاشة التي تعرض الصور والصوت والحركة والالوان ويقول ماكلوهان ان لكل وسيلة افضلية في نقل الرسالة فمثلا مشاهدة مباراة كرة القدم افضل في التلفزيون عنها في الراديو ومتابعة تفاصيل الاحداث والاخبار والتحليلات افضل في الصحيفة منها في التلفزيون فلكل وسيلة خصائص تجعلها الافضل في اثارة موضوعات معينة.

٢ – **تقسيم الوسائل إلى ساخنة وباردة :** من المسائل الطريفة في افكار ماكلوهان هو تقسيم الوسائل الى ساخنة وباردة ليميز بين قدرات كل وسيلة في التاثير الاجتماعي ، واعطى اهمية الى قدرة التخيل الذي يعتبر محور فكرته فالوسيلة الساخنة تقلل من التخيل ولاتحافظ على توازن الحواس لانها تقدم رسائل جاهزة بينما تساعد الوسائل الباردة على تنشيط التخيل وتحافظ على توازن الحواس كما في الاتي :

***الوسائل الساخنة –** يقصد بها منظومة الوسائل الجاهزة التي لاتحتاج من المشاهد او المستمع الى جهد او مشاركة واقعية فهي تقدم المضمون الاعلامي في قوالب جاهزة لاتحتاج منه الى بذل جهد في التفكير او محاولات للابتكار فيكون المتلقي مستلبا امام تلك الوسائط مثال ذلك الكتاب المطبوع والاذاعة والسينما.

***الوسائل الباردة –** ويقصد بها تلك التي تتطلب من المستقبل جهدا ايجابيا في المشاركة والاندماج فهو جزء مهم في اكمال الفكرة والاضافة الابداعية عليها من خلال التفاعل والمشاركة مثل التلفون والتلفزيون والانترنت .

٣ –عد الوسائل امتداد للحواس الإنسانية : يرى ماكلوهان ان الناس يتكيفون مع ظروف البيئة في كل عصر عن طريق استعمال حواس معينة ذات صلة بنوع الوسيلة الاتصالية المستخدمة فطريقة عرض وسائل الاعلام للموضوعات وطبيعة الجمهور الذي تتوجه اليه تؤثران على مضمون تلك الوسائل ، وان طبيعة وسائل الاتصال التي تسود في فترة من الفترات هي التي تكون المجتمعات اكثر مما يكونها مضمون الرسائل الاتصالية وهو ما اسماه بالحتمية التكنولوجية ، فالتغيير والتقدم التكنولوجي يؤدي بالتدريج إلى خلق بيئة إنسانية جديدة تماماً(فمثلا التلفزيون أوجد تكنولوجيا بيئية جديدة للناس ذات توجه بصري ضعيف ودرجة عالية من الاندماج تجعل الفرد بعيدا عن بيئته التربوية القديمة ، وأن كاميرا التلفزيون هي امتداد لحاسة البصر ، والآلات الحاسبة توفر بعض أوجه النشاط التي كانت في الماضي تحدث في عقل الإنسان فهي مساوية للامتداد الوعي) فتأثير تكنولوجيا الإعلام لا يظهر على مستوى الأفكار والتطورات فحسب ولكن يغير أبعاد الشعور وأنماط الإدراك .

وقد عرض ماكلوهان أربع مراحل في تطور التاريخ الإنساني وهي المرحلة الشفهية ومرحلة الكتابة والنسخ ومرحلة الطباعة وعصر وسائل الإعلام الالكترونية) ويبرر ذلك أن التغيير الأساس في التطور الحضاري منذ أن تعلم الإنسان أن ينتقل من الاتصال الشفهي إلى ألسطري ثم إلى الشفهي مرة أخرى ، وقد أتجه التقسيم العلمي لتطور الحضارة البشرية اعتمادا على ازدهار المجتمعات الصناعية ولاسيما في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وأصبح النظر إلى التغيير الاجتماعي برؤية حتمية التحول وأتخذ مسارين هما :–

أولهما – يعرف بالحتمية التقنية

وثانيهما– يعرف بالحتمية الاجتماعية وتفسر هذه الفكرة بحتمية التحول وتقبل التطور والتغيير وإلا خضع المجتمع لفجوة ثقافية ومعرفية تبعده عن مسار المجتمعات

والشعوب الأخرى فالحتمية تقود المجتمع على تقبل التطور والتغيير وإعادة التنظيم بعد كل اختراع وتقدم تقني كي يتكيف مع هذا التطور.

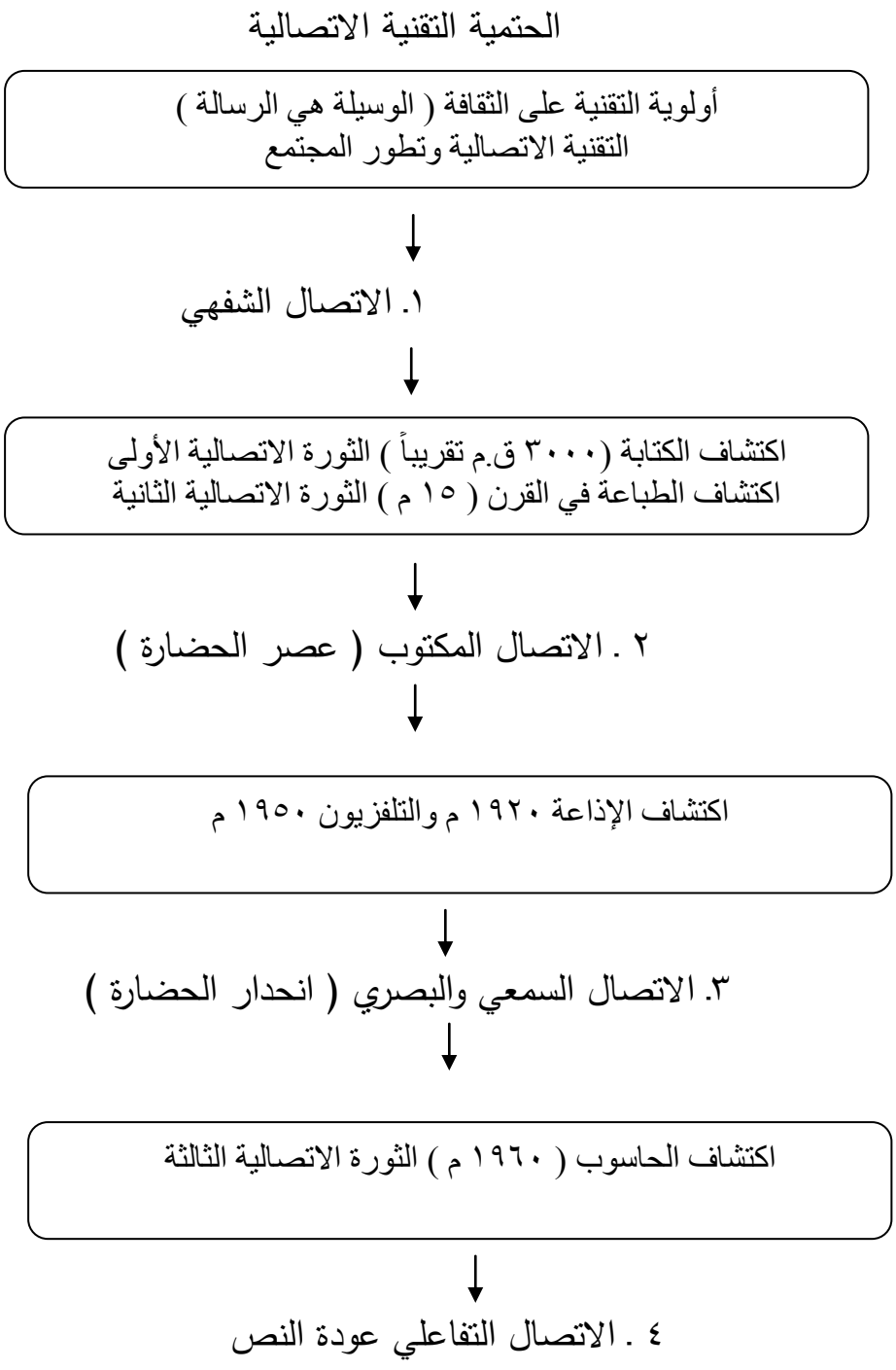

شكل (١٦) يبين الحتمية التقنية الاتصالية

ومن المقولات التي ابتكرها ماكلوهان واكثر الباحثين من استخدامها (العالم قرية صغيرة) اشارة الى ان التطورات المتسارعة لتكنولوجيا الاتصال ستجعل العالم صغيرا لكن هذه المقولة لم تعد مناسبة في عصر المعلوماتية والبث الفضائي لان القرية التي تخيلها ماكلوهان في ستينيات القرن الماضي لم يعد لها وجود حقيقي في القرن الحادي والعشرين لان التطورات السريعة في مجال تكنولوجيا الاتصال اعادت الانسان الى عصر القبلية والعنصرية فلكل وسيلته وقناة في البلدان ذات العمارات الضخمة وتحوي عشرات الشقق السكنية ولكن لايعرف احدهم الاخر ولايدري شيئا عن جيرانه الذين يعيشون معه في نفس البناية وبدلا من الحديث عن حوار الثقافات والاندماج الثقافي نجد انفسنا وكاننا نعيش في جزر صغيرة ومنعزلة لكل فرد فيها وسيلته الخاصة ويطور اللغة التي تناسبه بالتالي تزداد الفروق والتمايز بين الافراد بدلا من التماسك والتواصل.

ثانياً :. نظرية المجال الالكتروني الصوري :

تعد نظرية المجال العام من أكثر النظريات التي أهتمت بتحليل الاتصال عن طريق الفضاء الالكتروني ، وقد انبثقت من مدرسة فرانكفورت اذ ذكر هابرماس المجال العام ووصفه كمصطلح عام ١٩٦٢ في كتابه الشهير (التحولات البنيوية في المجال العام) وتم اعتماده عام ١٩٨٩، مشيرا الى تحول التكنولوجيا الى قوة رئيسية لتكوين النظم الاجتماعية وانتاجها والسيطرة عليها ، ويعتبر المجال العام مصطلحا واسعا يضم الكثير من التصورات السوسيو–ثقافية التي تختزل ما يمكن ان نسميه بالفضاءات العامة.

اذ عملت الادبيات الاعلامية على اعتماد هذه النظرية (public sphere) في ظل انتشار وسائل الاعلام الجديدة بما فيها الاعلام الاجتماعي كدراسات الفيس بوك وتويتر ويوتيوب وغيرها ، كونها تعمل على معرفة اثر التقنية الاتصالية للانترنت على المجتمعات اذ تمكن الانترنت من تقليص المساحة بين الفضاء العام والفضاء الخاص وتاسيس فضاء جديد من شأنه ان يحدث تغيرات نوعية على المجتمعات .

ويعتقد هابر ماس أن المجال العام في المجتمعات الغربية أنطلقت من الصالونات والمقاهي في لندن وباريس ومدن أخرى فكان الناس يناقشون قضايا الساعة مما

اكسبها اهمية خاصة ، وعلى الرغم من قلة المشاركين فيها لكنها أدت دورا حيويا في نمو الديمقراطية بمراحلها الاولى بسبب إتاحة الفرصة لتداول الاراء ، فوسائل الاتصال الجديدة عملت على دعم الجدل السياسي والاجتماعي ونفض الغبار عن المشبوهات وازالة الغموض عن القضايا ، وعمدت الى توفير عنصري الحرية والمساواة بين الجميع لتتيح الفرصة في تناول الموضوعات وتكوين رأي عام جمعي حولها .

والعلاقة بين المجال العام والاعلام تظهر من الاهتمام بدراسة التاثير السسيولوجي الذي تحدثه وسائل الاتصال في المجتمعات من خلال التغيرات الفكرية والقيمية والثقافية فيها .

وتقوم نظرية المجال العام على وصف وشرح عملية تشكيل الراي العام والمؤشرات الاجتماعية والثقافية التي تعمل على تطويره ، ويتوسط المجال العام مجالات السلطة العامة والحكومة حيث نشا المجال العام في المجتمعات البرجوازية الاوربية وكانت تمارس عبره المناقشات حول السياسات الحكومية تبلورت في اطاره اتجاهات الراي العام .

وعرفت نظرية المجال العام بانها (منطقة في الحياة الاجتماعية يتجمع الناس معا ويناقشون بحرية مشكلاتهم بعد تحديدها ويؤثرون بالفعل السياسي في تشكيل راي عام اتجاه القضايا والمشكلات المجتمعية ، وتركز هذه النظرية على الديمقراطية التشاركية التي تحدث في الفضاء الافتراضي وكيف تحول الراي العام لكي يصبح فعلا) .

فالتكنولوجيا المعاصرة أداة لتنظيم وادامة أو تغيير العلاقات الاجتماعية ومظهر من مظاهر وانماط السلوك والفكر السائد ووسيلة للسيطرة والهيمنة تعمل على انتاج ثقافة شاملة تعود للامتثال لأنماط التفكير والسلوك وتوفر أدوات قوية للرقابة والهيمنة .

وتعمل نظرية المجال في ضوء التطورات التقنية في عالم الاتصالات على محاولة فهم أبعاد الدور الذي تقوم بة وسائل الاعلام الجديد في أتاحة النقاش وبلورة الحوارات التي تعبر عن الرأي النشط عن طريق المدونات والمنتديات ومجموعات النقاش السياسي والاجتماعي في المجتمع بهدف تعزير المشاركة وترشيد مدخلات

صناعة القرار وصولا الى دعم كفاءة العمل الديمقراطي في المجتمعات بأولويات تحظي بأتفاق جماهيري وتمنح الشرعية للعمليات السياسية المختلفة .

وكان لزيادة أنتشار وسائل الاعلام وأزدهار الصناعات الثقافية وهيمنة الصناعات الترفيهية سببا بتشويه هذا المجال لذا فلم يعد الرأي العام يتشكل عن طريق النقاش العقلاني بل غدا محصلة لعمليات أستمالة وتلاعب وسيطرة ألة الدعاية ، وأن بناء القوة يتشكل عن طريق البناء التراتبي داخل المنظمات والمؤسسات لذا نجد أن الفضاء السيبيري أو المجال الالكتروني كان له تأثير في البناء الاجتماعي عن طريق ما تراة في علاقات القوة لان البيئة الالكترونية هي بيئة عامة ومجهولة توفر مجالا للنقد ونظاما لتعبئة الاستياء الاجتماعي وقد يكون هذا جيدا لان الكثير من وسائل الاعلام تسيطر عليها الحكومات واصحاب القوة والنفوذ السياسي ، فقد اتاح الانترنت المعلومات لتكون في متناول الجميع فهو وسيلة تشجع مجتمع القرية او الجماعات الصغيرة التي تتقاسم الاهتمامات المشتركة ومن جهة اخرى قد يروج الانترنت للفرقة والانقسام السياسي كونه منبر للتعبيرالحر ومتاح للجميع من دون تمييز.

وهنا علينا الاشارة الى المجال العام في فضاء السايبر تحول الى مجال الكتروني صوري تسيطر عليه ثقافة الصورة كأساس للتشكيل الثقافي لجمهوره اذ تحولت المحادثات الى اشارات ورموز (Like)أو (Share) وان الكلمات والعبارات على هذه المواقع مختصرة فلم يعد الفرد يفضل قراءة الجمل الطويلة والعبارات والفقرات المفعمة بالمعلومات ، اذ جمعت الصورة مجمل رموز اللغة بما فيها من ادوات تجسيد الافكار والموضوعات ، وعملت على تقديم جوانب ثقافية بأسلوب سهل الاستقبال ولايحتاج الى جهد فكري ، وغالبا ما تكون تلك المعلومات او الصور التي يقدمها المجال الالكتروني هي معلومات سطحية ومشوشة تجعل الشباب وحتى الاطفال يعتادون على التلقي السهل للمضمون ويبتعدون عن المواد والموضوعات ذات المضامين الفكرية العميقة .

فالمجال العام حل هذه المراكز وأحدث فوضى بتراتيبها القديمة ، وأصبح من الصعب ممارسة القوة المنظمة بدون الاعتماد على التعليمات الخاصة بالشبكة في

أطار ما يسمى الاحكام الموروفولوجية* ، فهابرماس الذي طرح نظرية العقل التواصلي في مقاربة لموضوع العلم والتقنية كأيدلوجيا عملت هذة البيئة الالكترونية على تحطيم الكثير من الايدلوجيات الجماهيرية وانتصار الخاص على العام لكنها ولدت أنماطا من الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية وجذرت واقع الأستعباد في الواقع الاجتماعي للافراد الذي حجبته المؤسسة الاعلامية مقابل صناعة مبنية لخدمة التطور .

*** وحدد هابر ماس عدة نقاط كونها عوامل نجاح المجال العام هي :-**

١. مدى الوصول والأنتشار .
٢. درجة الحكم الذاتي حيث يجب أن يكون المواطنون أحرارا ويتخلصوا من السيطرة والهيمنة والاجبار .
٣. رفض الهيراركية فكل فرد يشارك الاخرين على قدم المساواة .
٤. أن يكون دور القانون واضحا وفعالا.
٥. الفهم والثقة والوضوح في المضمون الاعلامي .
٦. وجود سياق مجتمعي ملائم .
٧. فالمجال العام الذي يتشكل عن طريق الحوار والنقاش يعمل على أعادة تنظيم هذه الاراء والترويج لها وفق أهميتها وتأثيرها على المجتمع .

***ويقسم الخبراء النظام المجتمعي الى ثلاثة أنظمة فرعية هي :-**

١. النظام السياسي .
٢. أنظمة وظيفية كالتعليم والصحة والخدمات .
٣. المجتمع المدني .

أن وظيفة المجال العام هو ربط حالة التفاعل بين هذة الانظمة وهذا المجال بأستقلالية يستطيع أدارة النقاش وترشيح الاراء وتنقيتها وبلورتها لتكون في النهاية أراء ذات أولوية .

---

* المورفولوجية الاجتماعية :ويقصد بها التجمعات الانسانية والبشرية لان طبيعة هذا التجمع هو الذي يكيف الظاهرة الاجتماعية بنية ودلالة ووظيفة ويؤثر في ملامحها وقسماتها وصورتها الداخلية والخارجية (Morphologie sociale)هو فرع من الفروع الرئيسة لعلم الاجتماع العام ويدرس التجمعات البشرية من حيث المكان الجغرافي الذي تحتله وحجم السكان وعدد الافراد ونسبة النمو الديموغرافي والكثافة السكانية في مساحة تجمعها .
Morphology :وتعني كذلك علم التشكل في الاحياء وهو علم يهتم بدراسة شكل وبنية الكائنات الحية وخصائصها من ناحية المظهر الخارجي (الشكل –الهيكل –اللون – النمط- الحجم)كذلك شكل وبنية الاجزاء الداخلية مثل العظام والاعضاء .

ويحلل هابرماس هذه الاجراءات بقولة أن البرلمانات والاحزاب لا تمثل الاساس الكافي لاتخاذ القرار الجماعي لذا فأن المجال العام عمل على أصلاح مسارات الديمقراطية وتفعيل التجمعات والهيئات المجتمعية.

لقد أحدث الفضاء السيبري حالة من الفوضى حيث مؤسسة الأسرة لم تعد قادرة على ضبط أفرادها وتوفيرالحاجات الأجتماعية بفعل تنامي قيم الاستهلاكية وبأنهيار النظام البطريكي وتنامي توظيفات وتأثير عالم تقنيات الاتصال الجديد التي أحدثت حالة من اللاتوازن في المجتمع .

وكان لتطورنظم الاتصالات التي أسقطت الحاجز بين الجوار والحوار دورا بأنتشار تطبيقات المعلوماتية في جميع أرجاء المجتمع محليا وأقليميا وعالميا فلم تعد هذه النظم تنقل الرسائل والاصوات كما كانت علية الحال في الماضي بل أصبحت تقدم خدمات أخرى مثل :

- نقل الاموال عبر ما يعرف بالتحويل الالكتروني حيث أصبح المال نوعا من المعلومات.
- نقل الأسواق عبر سبل التجارة الالكترونية .
- نقل الحضور عن طريق عقد المؤتمرات عن بعد أو ما يعرف نقل الحضور بفضل تكنولوجيا الروؤس الناطقة .
- نقل أقتصاد المعرفة الكترونيا يتم عن طريق شحن الكثير من سلع أقتصاد المعرفة عبر شبكات الاتصالات بما يعرف بأسلوب تنزيل البيانات .

فقد اصبح الانسان المعاصر متلقيا تتقاذفه المعلومات لذا لم يجهد نفسه في تعديل مفرداتها من هذا المصدر او ذاك او البحث عن دقتها ، فتضاءلت مفردات الثقافة وتحولت الى صورة حاسوبية في هذه الزحمة الصورية فقدت الكلمة جاذبيتها وهيبتها بعد ان اصبحت جزءا من الصورة .

ثالثاً :. نظرية دوامة الصمت (لولب الصمت)

طورت الباحثة الالمانية اليزابيث نويل نويمان نظرية اثارت جدلا في مجال تاثيرات وسائل الاعلام وفي تشكيل اراء الجمهور ، تبدا هذه النظرية من فكرة اساسية مفادها ((ان معظم الناس يخافون العزلة بطبيعتهم وخوفهم هذا يجعلهم يتبعون الاغلبية في

محاولة للتوحد معهم حتى لو كان ذلك على حساب ارائهم ووجهات نظرهم التي تختلف مع راي الاغلبية ومن ثم التزام الصمت حولها ، فالفئة الصامتة تفضل الصمت بدل الاحساس بالعزلة عن الاخرين الذين يمثلون راي الاغلبية)) وتملك وسائل الاعلام القدرة على تحديد ما يتصوره الناس انه الراي الشائع في زمن معين تجاه قضية ما .

وقد صاغت الباحثة مصطلح دوامة الصمت للتعبير عن هذه الظاهرة التي تقوم على فرضين اساسيين هما :

الاول- ان الافراد يتجاهلون ما يرونه بانفسهم ويتمسكون بما تراه الجماعة خوفا من العزلة. الثاني- ان وسائل الاعلام تقوم بنشر وتعزيز وجهة النظر السائدة او المهيمنة في الراي العام.

وهناك عوامل تجعل الناس حريصين على اعلان وجهات نظرهم والمشاركة بارائهم منها :

- الشيوع والانتشار : حيث تعتبر وسائل الاعلام مصدرا للمعلومات اينما تكون .
- التراكم : تميل وسائل الاعلام الى التكرار عن طريق مختلف البرامج والاساليب المتاحة .
- التناغم والاتفاق: حيث يؤثر تشابه القيم التي يتمسك بها العاملون في وسائل الاعلام على المحتوى الذي يقدمونه فينتج ايضا مشابها لها .

وتؤكد هذه النظرية على قوة وسائل الاعلام وغياب الادراك الانتقائي في مواجهة هذه القوة ، وان تاثير هذه الوسائل يزيد نسبيا الى الدرجة التي يصعب عندها وجود الادراك الانتقائي. واصبحت وسائل الاعلام العامل الحاسم لمن يرغب في تشكيل الراي العام اذ لم يعد كافيا لقادة الراي ان يحملوا فكرتهم ويؤمنوا بها فقط بل يجب ان يكونوا مستعدين وراغبين وقادرين على استغلال الانتباه الى وسائل الاعلام .

وترى النظرية ان التلفزيون هو الاكثر قدرة في تشكيل الراي العام لما يمتلك من خصائص الانتشار والتناغم والتراكم التي تعطيه هذه القوة والتي يطلقها الباحثون في اطر محدودة .

وتتميز نظرية دوامة الصمت بالاتي :

- كل الافراد لهم اراء لكنهم لايظهرونها خوفا من العزلة اذا ادركو انها غير مقبولة.
- ان وسائل الاعلام تعد المصدر الرئيس لاطار المعلومات حول توزيع الراي .
- للمرجعيات دور كبير في تشكيل الراي لذلك تقوم وسائل الاعلام بالتحدث بصوت غالبا ما يكون احتكاريا .
- تميل وسائل الاعلام الى التمييز في عرض وتوزيع الراي العام في المجتمع فتؤدي الى تشويه هذا التوزيع .

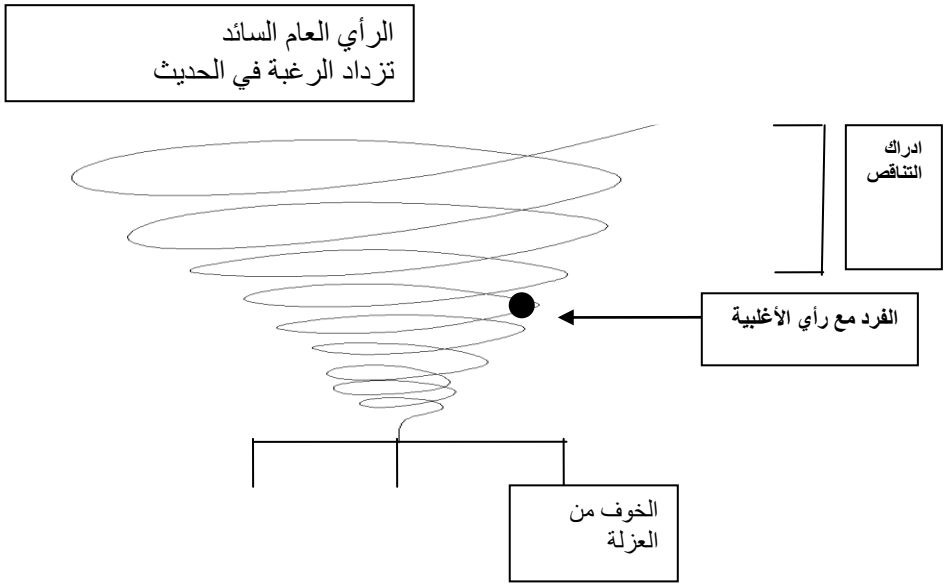

شكل (١٩) يبين نظرية دوامة الصمت

ثالثا : نظرية ليرنر واجتياز المجتمع التقليدي :

يرى ليرنر ان لوسائل الاتصال دورا مهما في التنمية و تحديث المجتمعات ، اذ تقدم هذه النظرية نموذجا تجريبيا حول تاثيرات محدودة لدور وسائل الاعلام في الاقناع للتأثير على الاتجاهات والعقائد والقيم ، وهذه النظرية هي حصيلة ابحاث مسحية

اجريت في تركيا ولبنان ومصر وسوريا والاردن وايران مطلع الخمسنيات ، ويؤكد دانيال ليرنر في نموذجه ان النسق الغربي في التحديث هو غربي من ناحية تاريخية فقط لكنه عالميا اجتماعيا ، وقد حاول ان يثبت عالمية النموذج بالتمثيل على ذلك بأن زيادة التحضر تميل الى ان ترفع مستوى التعليم وزيادة التعرض لوسائل الاعلام مع مشاركة اقتصادية اوسع ومشاركة سياسية اكبر ، ومن هنا يرى ليرنر اهمية الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام في التنمية وتتمثل هذه النظرية بالعناصر التالية :

أ-التقمص او الشخصية المتحركة :

يرى ليرنر ان هناك خاصية سيكولوجية تصاحب العمليات الاجتماعية وهي المقدرة على التخيل او تصور انفسهم في مواقف الاخرين وحين يظهر عدد كبير من الافراد القادرين على التقمص الوجداني في احد المجتمعات ندرك ان هذا المجتمع في طريقه الى التطور السريع ويرى ان هذه الآلية تعمل بطريقتين اسماهما بالتقمص الذي يتم عن طريق :

*الإسقاط : الذي يسهل التماهي (الدخول في تقمص شخصيات الاخرين) وهو يعني تحديد صفات تكون مفضلة لدى الشخص المستهدف ويأخذ هذه الصفات ويقوم بأسقاطها على ذاته .

*الادماج : الذي يوسع التماهي وذلك بأن يقوم الشخص المستهدف بنسبة صفات محبوبة عند الاخرين ويقوم بادماج هذه الصفات في ذاته ويبرر ذلك بقوله (بأنني مثلهم او احب ان اكون مثلهم) وكلا الآليتين تؤدي الى النتيجة ذاتها .

والمقدرة على التقمص الوجداني هي جزء مهم في عملية الاتصال لاننا يجب ان نربط بين ذهن المرسل وذهن المتلقي . وان التقمص الوجداني هو المقدرة على فهم الحالة الذهنية لشخص اخر ، كان تقول لشخص (انني افهم مشاعرك)

* لكن كيف يتحقق التقمص الوجداني ؟ وماهي قيمتة للاتصال ؟

يمكن تلخيص قيمة التقمص الوجداني في انه لكي نتصل يجب ان يتوفر لنا على الاقل ثلاثة عناصر :-

١. وسائل مادية للاتصال

٢. رجع الصدى

٣. مقدرة على التقمص الوجداني

والمقدرة على التقمص الوجداني تعني عمل استنتاجات عن الآخرين وتغيير تلك الاستنتاجات لتتفق مع الظروف الجديدة وهذه معروفة منذ اكثر من الفي عام فقد اشار اليها افلاطون وسان توماس الاكويني في مؤلفاته واعتبرها ادم سميث وهربرت سبنسر عملية انعكاس بدائي ، ويعني التقمص القدرة على استنتاج مشاعر الاخرين وما سيفعلونه وحينما نخرج بتنبؤات يصبح عندنا مهارة يسميها علماء النفس بالتقمص الوجداني، أي القدرة على اسقاط وتصور انفسنا في ظروف الآخرين ، وتعمل وسائل الاعلام على تطوير المقدرة على التقمص الوجداني بين الافراد الذين لم ينتقلوا من مجتمعاتهم المحلية ابدا لان تلك الوسائل تنقل العالم الخارجي اليهم .

ويمكن تعريف التقمص الوجداني انه ((العملية التي نتوصل بمقتضاها الى توقعات عن الحالات السيكولوجية الداخلية للانسان)) ، ويعد عالم الاجتماع دانيال ليرنر المقدرة على التقمص الوجداني من الخصائص الاساسية اللازمة لانتقال المجتمع من الشكل التقليدي الى الشكل الحديث ويفترض ان هذه الخاصية كانت تكتسب في الماضي بتحرك الافراد ماديا وانتقالهم من مكان الى اخر واختلاطهم بالاخرين ، اما ونحن نعيش عصر المعلوماتية والبث المباشر فان هذه الخاصية اصبحت تكتسب اساسا عن طريق وسائل الاعلام الحديثة اذ قامت بنقل العالم الخارجي الى الافراد الذين لم تتح لهم الفرصة للسفر او التعرف على مجتمعات غير مجتمعاتهم ويرى ليرنر ان التقمص عمل لابد منه لتطوير المجتمعات وتقدمها .

ت –وسائل الاعلام كأداة للتحريك : يرى ليرنر ان وسائل الاعلام الجماهيري تلعب دورا كبيرا في تحريك الناس ولاسيما في عملية التقمص اذ تساهم في نشر التعبئة النفسية بين الجمهور ونتيجة لتطور وسائل الاعلام وتعددها فان التقمص اخذ يتسارع اكثر من اي وقت مضى ليميز بين المجتمعات المتحضرة .

ث –نظام التحديث : بينما يؤكد ليرنر على دور وسائل الاعلام في نشر التعبئة والتحريك النفسي بكفاءة بين الناس الذين حصلوا على شروط مسبقة للتحريك الجغرافي والاجتماعي فانه يرى بان الناس يعيشون معا في ظل سياسي واحد

ويطورون طرقا لتوزيع المعلومات جنبا الى جنب مع السلع الاخرى وتتدفق هذه المعلومات بتفاعل مع توزيع السلطة والثروة والوضع الاجتماعي لتشكل نظما تنسج احكام ويعد نظام الاتصال مؤشرا للتغيير في النظام الاجتماعي الشامل . ويقترح ليرنر اربع مراحل للتحديث :

١. التحضر
٢. التعليم
٣. المشاركة الاعلامية
٤. المشاركة السياسية

ان عملية التحضر عملية عالمية تحدث في جميع المجتمعات وان زيادة المتعلمين تعني زيادة التعرض لوسائل الاعلام وان زيادة التعرض لوسائل الاعلام سارت موازية لاتساع نطاق المساهمة الاقتصادية ، ومراحل التحديث هي :

١. الانتقال من الريف الى المدينة .
٢. زيادة التعرض لوسائل الاعلام .
٣. تطور المجتمع صناعيا وتكنولوجيا .
٤. زيادة نسبة المتعلمين .
٥. عندما يتطور المجتمع اقتصاديا ومعرفيا تزداد نسبة المساهمة السياسية للافراد .

ويرى ليرنر ان تزايد التحضر يميل الى زيادة التعليم والمشاركة الاعلامية على مستوى قومي ، وزيادة التعليم ستؤدي الى المشاركة الكاملة فالمشاركة الاعلامية ترفع من امكانية المجتمع وقدراته في استيعاب الغير لما تقدمه من معلومات ومعارف وخبرات وتجارب جديدة للناس .

ومن الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية انها نظرية عرقية عنصرية تريد تحويل شعوب العالم الى نسخ متكررة من النموذج الغربي والذي لاياخذ بالاعتبار خصوصية كل مجتمع وتجربته وثقافته والتي تتحدد بالتالي بالنمط الذي يناسبها للتنمية .

رابعا :. نظرية انتشار المبتكرات

ساهم عدد من الخبراء والباحثين في مجال علوم الاتصال والإعلام بوضع هذا النموذج في صور ومداخل مختلفة كل حسب خبراته ورؤيته أهمها هو إن هذه النظرية (افترضت إن لوسائل الإعلام دورا تحديثيا وذلك لقدرتها على استيراد أفكار واتجاهات ونشرها على نطاق واسع لإحداث التغييرات التنموية في المجتمعات النامية) ويعد ولبرشرام من ابرز الذين خاضوا في هذا المجال لاهتماماته بنظريات التنمية والبناء الاجتماعي فقد نشر عام ١٩٦٤ كتابه (وسائل الإعلام والتنمية الوطنية) حدد عبره الوظائف الرئيسة للإعلام كونها تساهم في عملية التحديث والتغيير الاجتماعي وهي (إن الإعلام يساهم في رفع تطلعات الجماهير أولا ، ويساعد في اتخاذ القرار بالتغيير الاجتماعي ثانيا ، والتعليم من خلال وسائل الإعلام ثالثا) اذ تعد وسائل الاعلام في هذه المرحلة مصادر للافكار ،وتتم هذه العملية من خلال ما يعرف بالخصائص المدركة (perceived attributes) حيث يقيم الابتكار من خلال خمس خصائص هي:-

١-القدرة على الاختيار

٢-القدرة على المراقبة

٣-الميزات النسبية : يعرف روجزر الفكرة الحديثة او الاسلوب المستحدث انها درجة تفوقها على غيرها من الافكار والاساليب وهي تعني مدى الفائدة المتحققة من تبني الفكرة او الاسلوب الجديد.

٤-التعقيد : أي درجة الصعوبة النسبية للفكرة على الفهم والاستخدام .

٥-الملائمة : ويقصد بها درجة توافق الفكرة مع القيم السائدة في المجتمع .

وقد أكد على أهمية الاتصال الشخصي في تبني عملية الابتكار والتحديث إلى جانب دور وسائل الاتصال الجماهيري في خلق ونشر المعرفة حول المستحدثات . وان الابتكار يشمل اربع مراحل هي :

١. المعرفة:التعرف على نوعية الابتكار والحصول على معلومات حول وظائفه
٢. الاقناع:يحدد الفرد موقفا مؤيدا او غير مؤيد للابتكار
٣. القرار:يمارس الفرد انشطة تدفعه اما الى تبني الابتكار او رفضه

٤. التدعيم:يسعى الفرد الى تدعيم قراره حول الابتكار لكنه قد يتخلى عن قراره السابق اذا تعرض لرسائل جديدة

وهنا يكون عامل الوقت مهما في كل مرحلة من مراحل التبني ،وقد تم تقسيم الافراد على اساس الوقت الذي يتم فيه تبنيهم للفكرة المستحدثة الى خمس فئات هم :

١. المبتكرون
٢. المتبنون الاوائل
٣. متبنون (غالبية متقدمة)
٤. متبنون متأخرون (غالبية متأخرة)
٥. المتخلفون او المتلكئون

وقد لوحظ من البحوث والدراسات في هذا المجال ان لكل فئة خصائص وسمات عامة تختلف عن الاخرى فمثلا ان المتبنين الاوائل أصغر سنا بصفة عامة عن غيرهم ويتمتعون بمركز مالي افضل ممن يأتي بعدهم وكذلك كل فئة من هذه الفئات تختلف عن غيرها في السلوك الاتصالي من حيث نوع المصادر التي يلجأون اليها وكذلك معدل تكرار اتصالهم بالمصادر المفضلة لديهم .

ويعتمد انتشار المبتكرات على طبيعة تصميم الرسائل الاتصالية في وسائل الإعلام وأساليب الإقناع لزيادة فرص تقبل الأفراد لهذه الأفكار الجديدة (وقد ميز روجرز بين تبني المبتكرات التي تعني العملية العقلية التي ينتقل فيها الفرد من مجرد السماع لأول مرة حتى اعتناقها وبين الانتشار الذي يشير إلى انتقال الفكرة بين الناس) .

وحينما تفضل أعراف النظام الاجتماعي التغيير فان قادة الرأي يكونون أكثر ابتكاريه ولكن حينما تكون تلك المعايير تقليدية فان قادة الرأي يكونون غير ابتكارين ، والابتكار يعني فكرة جديدة أو أسلوب جديد يتم استخدامه في الحياة . ويقدم روجر شوميكر نظريتهما كوجهة نظر مركبة لانتشار رسائل وسائل الإعلام وتأثيرها من نقطة إلى مناطق جغرافية واسعة .

وتعتمد نظرية انتشار المبتكرات على أربعة عناصر :-

١-الابتكار ــ او التجديد والتكنولوجيا الجديدة أي الفكرة المستحدثة .

٢-الاتصال عبر قنوات محددة

٣-الوقت : أي الفترة الزمنية اللازمة للانتقال .

٤-الأعضاء في النظام الاجتماعي او التركيب الاجتماعي للبيئة : وبهذا فان تقنية الاتصال الشخصي إلى جانب وسائل الاتصال الحديثة تساهم في نشر المعرفة في المجتمع ودعم مشاريع التنمية فيه .

ففي نظرية انتشار المبتكرات يعد الاتصال الشخصي هو الاقوى والاكثر تاثيرا في تزويدنا بالمعرفة عن الافكار المستحدثة وتزويدنا بالاتجاهات نو الافكار الجديدة .

وهناك خمس مراحل للتبني هي :

١. مرحلة الوعي بالفكرة ـ يسمع الفرد او يعلم بالفكرة الجديدة لاول مرة وهي مفتاح الطريق الى المراحل الاخرى في عملية التبني .
٢. مرحلة الاهتمام ـ يتولد لدى الفرد الرغبة في التعرف على وقائع الفكرة والسعي الى مزيد من المعلومات ليصبح اكثر ارتباطا بها .
٣. مرحلة التقييم ـ يزن الفرد ما تم جمعه من معلومات عن الفكرة المستحدثة او الابتكار ويقرر اما الرفض او التبني واخضاع الفكرة للتجريب العملي .
٤. مرحلة التجريب ـ استخدام الفكرة في نطاق ضيق .
٥. مرحلة التبني ـ الثبات النسبي للفرد في قرار تبني الفكرة المستحدثة واستخدامها على نطاق واسع .

وتتاثر عملية نشر الافكار المستحدثة بالمعيار الاجتماعي السائد أي النمط السلوكي الشائع بين افراد تنظيم اجتماعي معين ، وهنا يحدث التغيير بمستويات ثلاث :

١. تغير جوهري ـ وهو حدوث التغير داخل النظام الاجتماعي .
٢. تغير احتكاكي ـ أي خارج النظام الاجتماعي .
3. تغير موجه انتقائي ـ لتحقيق اهداف احدى مكونات التغيير ويتم عند اولئك الذين يتحولون فعلا لتقبل التغيير .

نموذج توضيحي يبين مراحل نظرية انتشار المبتكرات

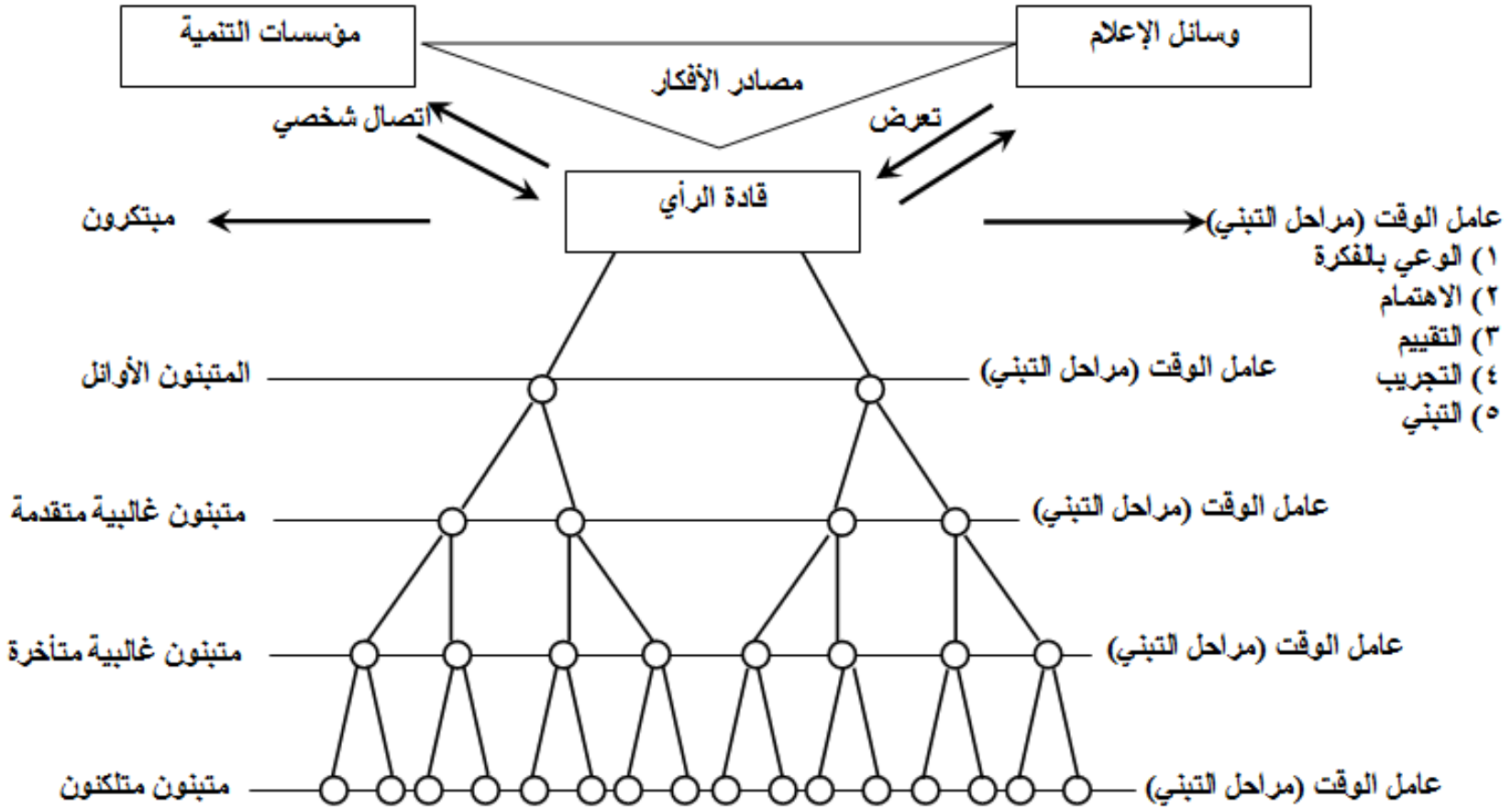

ثانياً . نظرية الاتصال على مرحلتين:-

ظهرت دراسة " لازرسفيلد وبيرلسون وجوديت " المنشورة عام ١٩٤٤ بعنوان "اختيار الشعب.. كيف يدلي الناخب برأيه في انتخابات الرئاسة " والتي اجريت في اعقاب حملة انتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٤٠ بين "ويندل ويلكى" المرشح الجمهوري ، والرئيس "فرانكلين روزفلت " المرشح الديمقراطي والتي اسفرت عن نجاح روزفلت على الرغم من حملات الصحافة المعادية له .

وكان هدف الدراسة التعرف على الطرق التي تؤثر في تكوين الرأي العام وتغييره ، والتعرف على دور وسائل الاعلام الجماهيرية في هذا المجال ، وكان موضوع الدراسة تحليل خطب الحملة الرئاسية ، وغيرها من الرسائل السياسية التي قدمتها الصحف والمجلات ، اذ قام الباحثون بمتابعة عينة من آراء السكان على فترات قبيل وفي اثناء الحملة الانتخابية وقد خرج الباحثون بالنتائج التالية :

١. ان عملية تكوين الراي الانتخابي ليست عملية فردية ولكنها عملية جماعية ، وتفسير ذلك ان الناس الذين يعيشون اوضاعاً اجتماعية متقاربة تجمعهم عادة مصالح ومشاعر واحتياجات مشتركة ، وينعكس ذلك على اتجاهاتهم وارائهم ولا سيما السياسية منها فيما يتعلق بالشخص او الحزب الذي يؤيدونه في الانتخابات .

٢. لاحظ الباحثون ان افراد العينة كانوا يشاركون الجماعات التي ينتمون اليها في المناقشات والحوار ، وان الاتصال الشخصي كان العامل المؤثر في تشكيل رأي الناخبين وليس وسائل الاعلام كما كان سائداً .

٣. كشفت الدراسة عن وجود افراد داخل كل جماعة يتميزون عن سواهم بكونهم اكثر اتصالاً بوسائل الاتصال الجماهيرية ، وانهم احرص من غيرهم على متابعتها ونقل مضمونها الى باقي افراد الجماعات التي ينتمون اليها ، واطلق على هؤلاء الافراد " قادة الرأي "

٤. تبين من الدراسة ان غالبية افراد العينة لا يحصلون على معلوماتهم من وسائل الاعلام مباشرة ، وانما عن طريق اتصالهم المباشر بقادة الرأي في الجماعات التي ينتمون اليها .

وكانت النتيجة النهائية التي خلص اليها الباحثون هي ان الاتصال الشخصي يلعب دوراً مهماً في تشكيل وتوجيه الرأي العام بجانب وسائل الاعلام ، وان قادة الرأي يشكلون عنصراً مهماً في عملية الاتصال الشخصي ، ويلعبون دور الوسيط بين الافراد ووسائل الاعلام ، واطلقوا على عملية سريان المعلومات من وسائل الاعلام الى الجماهير عبر قادة الرأي اسم " تدفق الاتصال على مرحلتين " .

وفي دراسة اجراها اليهوكاتز عام ١٩٥٦ قدم التصور التالي لفروض انتقال الاتصال على مرحلتين :

١. ان قادة الراي والناس الذين يتاثرون بهم ، ينتمون الى الجماعة الاساسية ذاتها ، سواء اكانت الاسرة ام الاصدقاء ام زملاء العمل .

٢. ان قادة الراي والاتباع يمكن ان يتبادلوا الادوار في ظروف مختلفة ، فقائد الراي في المجال السياسي قد يكون تابعا في المجال الديني او الرياضي .

٣. يكون قادة الراي اكثر تعرضا واتصالا بوسائل الاعلام فيما يتعلق بتخصصهم .

٤. تؤكد فرضية انتقال الاتصال على مرحلتين على اعتبار ان العلاقات الشخصية المتداخلة وسائل اتصالية ، وكذلك فانها تشكل ضغوطا على الفرد ليتوافق مع الجماعة في التفكير والسلوك والتدعيم الاجتماعي .

وتعطي هذه النظرية الاتصال الشخصي (المواجهي) الدور الفاعل في التأثير وتركز على إن قادة الرأي في المجتمع يستقبلون المعلومات من وسائل الإعلام ويقوم هؤلاء بتمريرها على زملائهم أو إتباعهم ، ومن المهم إن نفهم إن قيادة الرأي تتغير من وقت إلى أخر ومن موضوع إلى أخر تبعا لتغير المواقف ، وفي دراسة أجراها كانز عام (١٩٥٦) أكد على فرضية انتقال الاتصال على مرحلتين بالنظر الى ان العلاقات الشخصية المتداخلة تعد مصدرا ضاغطا للفرد لينسجم مع أسلوب الجماعة في التفكير والسلوك والتدعيم الاجتماعي ولاشك إن هذه الفرضية قد فتحت الباب أمام ظهور نموذج انتقال الاتصال على مراحل متعددة .

- مميزات قائد الرأي :

١- يتعرضون بشكل مستمر لوسائل الإعلام .

١ أكثر ابتكاريه من غيرهم ولديهم أفكار جديدة وقدرة على ابتكار الحلول .

٢ لديهم اتصالا بالمسؤولين والقائمين على مشاريع التنمية .

٣ يتمتعون بمركز اجتماعي متميز .

٥-قادة الرأي أكثر انفتاحا وتقبلا للأفكار الجديدة وأكثر مشاركة في الحياة الاجتماعية .

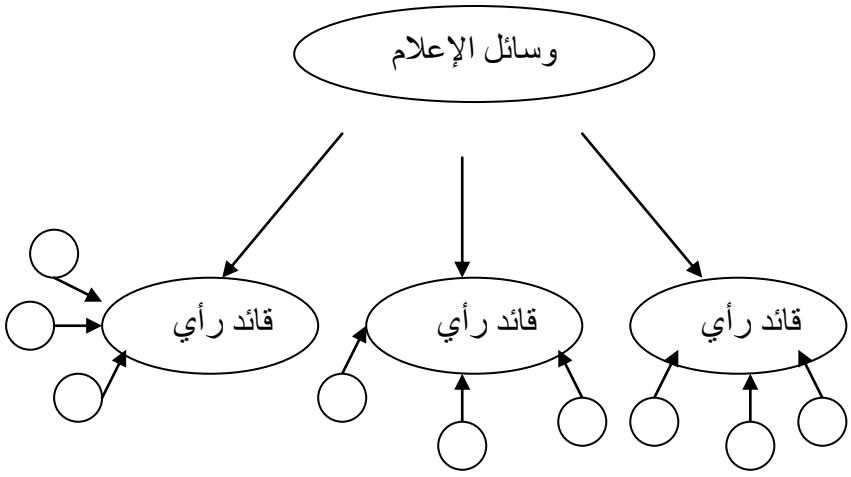

شكل (١٨) يبين نظرية تدفق الاتصال على مرحلتين

نظريات الهيمنة الإعلامية:

منذ وجدت البشرية وهي تعيش في حالة صراع دائم بين طرفي العالم يهدف احدهما ان يتحكم بالأخر ولكل زمان سلاحه الذي يتكلم من خلاله ويفرض سيطرته على الأمم والشعوب وفي عصر المعلومات وتكنولوجيا الاتصال والفضاءات المفتوحة والذي يفضل البعض تسميته بعصر العولمة نجد إن وراء كل هذا التعدد والتنوع عنصر متحكم أو من يحرك خيوط العالم بلمسة واحدة دون تعب فأصبح يتحكم بمصائر شعوب وحضارات وأقوام

في عصر عرف بعصر المعرفة وتطور الإعلام الذي شهد اندماجا بين تقنيات ثلاث هي الأقمار الصناعية والحاسوب والتلفزيون هذا الاندماج الذي لم يحول العالم إلى غرفة صغيرة بل إلى قبائل وأقوام متنازعة ومتصارعة فيما بينها من بين كل هذه التناقضات ظهرت العديد من النظريات الإعلامية التي تبحث في جوانب متعددة في هذا الفصل نستعرض نظريات تتركز في قضية الهيمنة الإعلامية وهي :

١) نظرية التبعية الإعلامية

٢) نظرية الاستعمار الثقافي او الإعلامي

٣) نظرية التحيز الإعلامي

أولا– نظرية التبعية الإعلامية :

بعد فشل تطبيقات نظريات التنمية ظهرت نظريات تفسر هذا الفشل أطلق عليها نظريات التبعية الإعلامية وهي تنطلق من فكرة تحليل العلاقة بين الدول المتقدمة والدول النامية التي كانت السبب في فشل مشاريع التنمية في العالم الثالث حيث تفسر هذه النظرية علاقة الدول النامية بالدول المتقدمة بالتابع وتحصر فرضيات هذه النظرية بأربع مجالات متداخلة هي :

١) ارتباط النظام الداخلي للأقطار النامية بالسوق العالمية حيث نموذج الامبريالية الإعلامية وكذلك من الخطأ اعتبار التنمية في بلدان العالم الثالث قائم على قرار داخلي بل إن قراراتها تتخذ بواسطة قوى تقع خارج الحدود القومية وان شركات متعددة الجنسيات تحتل موقعا مهما في هذه العملية

٢) تأثير تدفق التقنية والرسائل الاتصالية الغربية على عمليات التنمية

٣) التركيز على العوامل والقوى الخارجية التي توجه وتدعم الحفاظ على التخلف في العالم الثالث

٤) شركات متعددة الجنسيات تعد معوقا للجهود التنموية لدول العالم الثالث

وهذه النظرية تركز على العلاقات بين أنظمة مصغرة ومتوسطة وكبيرة وتنظر الى البيئة المناسبة للمجتمع وتحلل الطريقة التي ترتبط فيها عناصر المنظومات الاجتماعية فيما بينها محاولة تفسير سلوك الإطراف المشاركة (التابع والمتبوع)استنادا لهذه العلاقات وتعتمد على مسلمة ان النظام الإعلامي اليوم يمثل جزءا مهما من نسيج المجتمعات المعاصرة ومن المحتمل ان تكون هذه العلاقات صراعية تعاونية ديناميكية متغيرة يمكن إن تتموضع على درجات متفاوتة في الشدة والكثافة .

ولكي يصل النظام الإعلامي إلى أهدافه لابد من حصوله على بعض المصادر التي يسيطر عليها النظام السياسي فالهدف الذي يتمتع بأولوية في النظام الإعلامي للمجتمعات الليبرالية هو الربح والهدف الاخر هو شرعية استعداد جهات اخرى لضمان حريات حقوقية للاعلام كحرية الصحافة وحق القيام بادوار اجتماعية معينة وحق الرقابة والتحري وهناك هدف ثالث هو الاستقرار الاقتصادي للنظام الاعلامي . وان تبعية الأفراد والأنظمة الاعلامية لتحقيق اهداف يتطلب بعضها الوصول الى مصادر يسيطر عليها الاعلام لتحقيق اهداف ثلاث (الفهم ،التوجيه،الترفيه)كذلك ان درجات هذه التبعية متفاوتة حسب شروط معينة اهمها :-

١) الاهداف الشخصية

٢) البيئة الشخصية والاجتماعية

٣) التوقعات بالفائدة المحتملة من مضامين الاعلام

٤) سهولة الوصول الى هذه المضامين

ويمكن افتراض انه كلما زادت هذه التبعية ازدادت الشدة كلما ارتفعت درجة التنشيط المعرفي الانفعالي والمرحلة الثالثة من التبعية هي التورط وتعني تنشيط المعرفة والمشاركة الايجابية وقد انجزت الكثير من الابحاث حول التبعية الاعلامية في التاثيرات المعرفية في مجالات الاستيعاب والاتجاهات والمعارف والقيم اما دراسات التاثيرات الانفعالية فهي قليلة وانطلاقا من واقع ان العلاقات بين النظام الاعلامي والنظام الاجتماعي تتغير من حالة الى اخرى فان نوعيات التبعية الإعلامية تحدد بالتالي :-

١. تبعية معرفية (تتميز بين فهم اجتماعي وفهم الذات)

٢. تبعية الاتجاه (وهي مقسمة بين اتجاه الفعل واتجاه التفاعل)

٣. تبعية النشاط الترفيهي (على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي)

وقسم خبراء الاتصال العرب التبعية الإعلامية إلى قسمين :-

الاول-تبعية للخارج

بسبب التقدم التكنولوجي الذي جاءنا من الخارج فاننا نتبع الغرب تكنولوجيا والممارسات الاعلامية في عهد الفضاء المفتوح خلق ثقافة هجينة وتغريب ثقافي وغزو ثقافي في عهد العولمة وسيادة ثقافة الامركة التي تعمل على مسخ الهوية القومية وان اعتماد وسائل الاعلام في العالم الثالث على تكنولوجيا الاتصال والاعلام تتحكم بها الشركات متعددة الجنسيات الى جانب القوى المحلية ذات النفوذ السياسي والاقتصادي والتبعية كمفهوم عبارة عن علاقة تنطلق من التابع الى المتبوع عبر عملية الحاق قصري بوسائل سياسية واقتصادية وعسكرية وغزو ثقافي وفكري لتعميم نظام الانتاج الراسمالي وتسويغ الهيمنة التي تمارسها الدول المتقدمة ضد الدول النامية ،ونخلص من ذلك ان نظرية التبعية الاعلامية اعطت اهتماما متزايدا للابعاد الثقافية والتاريخية والدولية في تفسيرها للعلاقة بين وسائل الاعلام والسلطة السياسية ودورها في اطار التبعية الاعلامية والغزو الثقافي ولهذا لايمكن فصل التبعية الاعلامية عن انواع التبعية الاخرى وايا كان الامر فان نظرية التبعية الاعلامية في حاجة الى جهود جديدة لمراجعتها على ضوء المتغيرات الدولية التي برزت في اواخر الثمانينات ابتداء بانهيار الشيوعية وسقوط القطبية الثنائية مرورا بالنظام العالمي الجديد في عالم الاتصال الحديث والعولمة وصراع الحضارات ويمكن تحديد الانظمة الاعلامية السائدة في العالم الثالث على النحو التالي :-

١) نظام اعلامي يقع تحت سيطرة الدولة في اطار مفهومي التنمية والوحدة الوطنية والرقابة الصارمة على المضمون

٢) نظام اعلامي موجه من الدولة وتكون الوظيفة الاساسية للصحافة تعبئة الجماهير من اجل التنمية وتدعيم الوحدة الوطنية فتحل المسؤلية القومية محل المسؤلية الاجتماعية

٣) نظام اعلامي مستقل تتمتع فيه الصحافة بقدر من الحرية بعيدا عن تدخل الحكومة وتستطيع في ظل هذا التوجه ان تظهر استقلالية عنيفة في مواجهة الضغوط الحكومية

الثاني –التبعية للداخل :

وهو تبعية الاعلام للسلطة مما دفع الجمهور العربي الى ان يثق بكل وسائل الاعلام الاخرى سوى وسائل اعلام بلده التي تعتبرها وسائل اعلام مهمتها الترويج للسلطة السياسية وخدمة اغراضها ونتج عن علاقة التبعية للسلطة السياسية كثير من النتائج السلبية على تطوير الصحافة العربية ومن اهم تلك النتائج :-

١) تدهور مصداقية وسائل الاعلام العربية حيث نظرت لها الجماهير العربية باعتبارها اداة السلطة في التبرير

٢) ادت التبعية للسلطة الى تناقض المساندة الشعبية لحرية الاعلام في مواجهة الحكومات فازدادت قوة الحكومات في الوقت الذي تناقضت فيه قوة المجتمع المدني كما ادى الى ضعف المشاركة الجماهيرية في الانتخابات

٣) كان من اخطر نتائج التبعية للسلطة هو تناقص قدرات الاعلاميين المهنية فتلك القدرات تتزايد كلما زاد مجال الحرية الذي يعملون فيه

هذا الواقع للاعلام العربي الذي هو انعكاس للواقع الراهن وضع امام الاعلام صعوبات كثيرة اهمها قاعدة اقتصادية ضعيفة وتسيس للاعلام العربي وارتباطه بالسياسة التاثير الحضاري والثقافي وحماية القيم الثقافية من النظام الاعلامي العالمي الانقسامات الاعلامية نقص العنصر البشري المؤهل عدم المرونه وتقبل الجديد في مجتمع المعلومات وحالة الجمود والتثاقل وعدم الحراك ومن هنا نجد ان الاعلام تابع للسلطة من ناحية الملكية وتابع بمضمون المادة الاعلامية وتابع تكنولوجيا للدولة الغربية وتابع تبعية سوسيو ثقافية وتابع لوكالات الانباء وتابع لمعاهد وكليات الاعلام الغربية وكل ذلك انعكس سلبا على الاداء الاعلامي – استطاع الاعلام الالكتروني ان يفلت من هذه التبعية وحقق نجاحا جيدا

ثانيا –نظرية الاستعمار الإعلامي :

لهذه النظرية تسميات متعددة فمنها الامبريالية الاعلامي والاستعمار الاعلامي والغزو الثقافي ....الخ وهذه النظرية مشتقة من كتاب المفكر الايطالي نطونيو

جرامشي وجدت طريقها الى الدراسات الاجتماعية في امريكا الشمالية واوروبا الغربية بعد عام ١٩٧١ وهي تشير الى العملية التي يمكن بواسطتها للطبقة المسيطرة ان تحافظ على قوتها وتحصل على رضا الطبقات التابعة (الاضعف)بدون استخدام القوة النظرية التركيبية للاستعمار الاعلامي

كما تم دراسة هذه النظرية في علم الاتصال من قبل ستيوارت هول حيث عرف الاتصال بانه (الاداة التي يتم بواسطتها فرض السيطرة)وقام الباحثان شيرلي هون وسنجهام بحضور اجتماعات حركة عدم الانحيازلمفهوم السيطرة ومنها خرج الباحثان ان نظرية السيطرة تقدم على ان هناك انواع من السيطرة :-

١) السيطرة النووية – تحتكرها الدول العظمى القوة النووية

٢) السيطرة السياسية –تقوم امريكا باخضاع العالم لارادتها

٣) السيطرة الاقتصادية –يتم تركيب اقتصاد العالم طبقا لارادة الولايات المتحدة

٤) السيطرة الثقافية– ترى دول عدم الانحياز ان هذا النوع من السيطرة يصعب مقاومته وان السيطرة الاعلامية والاتصالية هي التي تشكل البيئة الدولية

وتفترض نظرية الامبريالية الاعلامية ان وسائل الاعلام قوية للغاية واذا لم تكن كذلك فان تاثيرات وسائل الاعلام لن تكون ذات شان وستكون وسائل الاعلام الامريكية فقط مصدرا رئيسا للتسلية وليست قوة للامركة والتغير نظم القيم الاساسية لهذه الثقافات .

فالاستعمار الاعلامي عند جالتونج يعني سيطرة دول المركز القوية على التعليم والمعرفة العلمية ويرى ان الاستعمار يمر بثلاث مراحل هي :

١) الاولى –الاستعمار الاستيطاني وهي باحتلال اراضي شعوب اخرى

٢) الثانية –الاستعمار الجديد تحصل فيها التوابع على الاستقلال لكن النخب الحاكمة في المركز والدول التابعة تظل في حالة انسجام مصالح

٣) الاستعمار الجديد الجديد ويتم من خلاله السيطرة على الاتصال الدولي خاصة بعد السرعة الكبيرة لتطور تكنولوجيا الاتصال وفي هذه المرحلة يرى المستعمر ان عملية المحافظة على كل انواع الاستعمار

ومن هنا يتضح الفرق بين نظرية السيطرة لجراميش والنظرية التركيبية للاستعمار فالاولى تسعى للسيطرة داخل الدول حيث تسيطر النخبة على وسائل الاعلام والاقتصاد وبالتالي تسيطر عليها من جانب اخر دول النخبة (امريكا واوروبا الغربية) على النظام الاعلامي العالمي اما الثانية فانها اكثر شمولا وعمقا
في عام ١٩٦٩ ذكر شيلر مصطلح (الاستعمار الثقافي) في كتابه (الاتصال الجماهيري والإمبراطورية الأمريكية) وقد عرف شيلر الاستعمار الثقافي (بانه مجموعة من العمليات التي يؤدي الى نقل مجتمع معين الى النظام الغربي بحيث يتم جذب النخب الثقافية لهذا المجتمع والضغط عليها واجبارها واحيانا رشوتها لتشكيل المؤسسات الاجتماعية بشكل يؤدي الى نقل قيم المجتمع الغربي وتركيبه الى هذا المجتمع وحث هذا المجتمع على تبني هذه القيم) وهذا يعني ان النخب في المجتمعات التابعة يتم جذبها والضغط عليها واحيانا رشوتها حسب راي شيلر بهدف الترويج للقيم الغربية والامريكية ويرى هذا النوع من الاستعمار هو الاساس الذي يقوم عليه الاستعمار الجديد بهدف المحافظة على بقاء النظام الراسمالي من خلال السيطرة على المعلومات ومنابع الافكار وبهذا فهو يربط بين الاستعمار الاقتصادي والاستعمار الاعلامي لان احدهما يساهم في بقاء الاخر كثيرون كانو يعتقدون الاستعمار الاعلامي او الغزو الثقافي جاء كبديل عن الاستعمار القديم الذي كان يقوم على الاحتلال العسكري لكن في الحقيقة ان هذا النوع من الاستعمار كان قد استخدم قبل الاستعمار القديم وخلاله وبعده حيث لعب المستشرقون دورا في التمهيد للاحتلال العسكري وزادت هذه العمليات خلال الاستعمار التقليدي حيث سعت القوى الاستعمارية البريطانية والفرنسية للسيطرة على التعليم كما في مصر والجزائر واستخدام نخب مثقفة في مجال الصحافة

للترويج للقيم الغربية كما سعت هذه الامبراطوريات الى فرض لغتها كما حدث في الجزائر

لكن سطوة الاستعمار الإعلامي الأمريكي تزايدت بعد انتهاء الحرب الباردة حيث عملت الولايات المتحدة كما يقول تشو مسكي على السيطرة على العقل العام في كل دول العالم وهذا هو السبب في تسمية الاستعمار الإعلامي ظاهرة جديدة لان الجديد هو استخدام الولايات المتحدة الأمريكية لهذا النوع من الاستعمار لتحقيق أهدافها وتحديث آلياتها وتطويرها حيث يعمل هذا النوع من الاستعمار على تقليل إمكانيات الشعوب في مقاومة الاستعمار العسكري كما لاحظ شيلر ان الولايات المتحدة الأمريكية قد ضاعفت قواتها ووجودها العسكري في الكثير من الدول في الوقت الذي طورت فيه آليات الاستعمار الإعلامي وأساليبه ولذا فقد ارتبط مصطلح الاستعمار الإعلامي باسم شيلر الذي قام بصك المصطلح لكن هذا المصطلح استخدم في السبعينيات بشكل واسع وركز على صناعة السينما والأفلام وتدفق البرامج التلفزيونية والإخبارية عبر وكالات الأنباء والإعلام الدولي حيث أكدت هذه الدراسات ان المنتجات الثقافية الأمريكية المتحيزة للولايات المتحدة تسيطر على وسائل الإعلام في الدول النامية كما أوضحت الكثير من الدراسات ان الشركات عابرة القارات والحدود تمارس تأثيرا تحكميا في التنمية الثقافية والسياسية والاقتصادية في الدول النامية كما ان وسائل الإعلام في الدول النامية أصبحت مصالحها مرتبطة بالشركات عابرة القارات من خلال الفاعلان

تعتبر الثقافة الشعبية الامريكية من اهم اليات السيطرة وتشكيل الاستعمار الثقافي ونشر هذه الثقافة هي سياسة مقصودة لابقاء بقية العالم في حالة تبعية سياسية واقتصادية للولايات المتحدة الامريكية حيث تتولى امبراطورية روبرت مردوخ الاتصالية بفرض الثقافة الانجلو امريكية على العالم ويرى ماكنزي ان الامبراطوريات الاعلامية والاتصالية اصبح لها تاثير عدواني على الثقافة في العالم وانها تهدد التنوع الثقافي ويؤيد ذلك ايضا ستيفنسون الذي يرى ام من اهم نتائج السيطرة الثقافية الامريكية على العالم هو فقدان التنوع حيث يعد التنوع الثقافي مهما من اجل زيادة قدرات الشعوب على التكيف مع البيئة لكن شركات

متعددة الجنسيات تسعى لفرض ثقافة واحدة على البشر لتنميط السوق من اجل ترويج منتجاتها وهو ما يؤدي الى تناقص تنوع ثقافات العالم .

حيث يتوقع خبراء الاتصال ان السيطرة الامريكية على النظام الاعلامي الدولي وثورة الاتصال ستؤدي الى انهيار الكثير من الثقافات التقليدية وستقوم الشركات متعددة الجنسيات بفرض ثقافة عالمية هي الثقافة الانجلو امريكية وتعتبر صناعة السينما والبرامج التلفزيونية من اهم اشكال السيطرة للثقافية الامريكية حيث تستورد دول الخليج فقط ٤٠-٦٠%من برامجها من الولايات المتحدة واوروبا ومعظم هذه البرامج تتعارض مع قيم الثقافة العربية حيث انها تشجع على الفردية والانانية والمادية وتعمل على نشر الثقافة الاستهلاكية وتقلل من اهمية الدين والوطنية وان من اهم النتائج التي ستترتب عليها هو تدهور البيئة الثقافية العالمية وتناقص قدرة البشرية على بناء الحضارة كما يهدد بانهيار حضاري شامل لان هذا التنوع من الاستعمار سيغرق العالم بثقافة هابطة ومن اهم مظاهر الاستعمار الثقافي هو انتشار اللغة الانكليزية بسبب زيادة استخدام الانترنت وتكنولوجيا الاتصال الحديثة والاستعمار الثقافي والاستعمار الاعلامي والاستعمار الالكتروني

ويعرف اوليفر بويد باريت الاستعمار الاعلامي انه العملية التي تتعرض فيها ملكية وسائل الاعلام وتركيبها ومضمونها في دولة معينة لضغوط خارجية من المصالح الاعلامية لدولة اخرى ويتكون الاستعمار الاعلامي من اربعة عناصر هي :

١. تصدير برامج التلفزيون الامريكية للدول الاخرى
٢. السيطرة الاجنبية على وسائل الاعلام وفرض اتفاقية التجارة الحرة الى فتح اسواق الكثير من الدول في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية
٣. فرض الأنماط الإذاعية والنمط التجاري لوسائل الإعلام ذلك ان العينة التي يتم الترويج لها بشكل واسع هي اعتماد الوسائل الإعلامية في تمويلها على الإعلان وبالتالي التركيز على التسلية وجذب انتباه الجماهير والتخلي عن دور الخدمة العامة

٤. فرض القيم ووجهات النظر الرأسمالية على الشعوب وأساليب الحياة الغربية

الاستعمار الالكتروني \ان التطورات السريعة في مجال تكنولوجيا الإعلام والمعلومات وتخزينها ومعالجتها ونقلها قد أضافت أبعادا جديدة للاستعمار الإعلامي وان هذه التطورات التكنولوجية قد أصبحت أداة جديدة للاستعمار الإعلامي

تكنولوجيا الاتصال ودورها في الاستعمار الثقافي فالاندماج بين ثلاث تقنيات اتصالية هي الأقمار الصناعية والكومبيوتر والنظام الرقمي يؤدي الى تغيير سريع في كل الثقافات وانهيار الكثير من الثقافات التقليدية وان استخدام هذه التقنيات قد ساهم بالتأثير سلبا على الكثير من الثقافات

وقد أجريت العديد من الدراسات والأبحاث حول الامبريالية الإعلامية من أبرزها دراسة أجريت في ٣٠ دولة في قارات مختلفة حول الانعكاسات الاجتماعية لمسلسل دالاس الاميريكي حيث تعتبر المسلسلات المتلفزة مرتكزات مثالية للتفكير في مسألة الامبريالية الثقافية حيث انتشر هذا المسلسل في سنوات الثمانينات حيث يعد المسلسل الاكثر شعبية في تاريخ التلفزيون واشارت نتائج البحث العالمي الذي قاده اليهو كاتز وتاما لياب الى الالتباس في مفاهيم وقيم المجتمعات التي تعرضت له وحاول البحث المقارنة بين ردات فعل الجماهير المتنوعة اتجاه القضايا التي اثارها المسلسل للنقاش حيث تكونت مجموعات المناقشة الموضوع من خلال اثارة عدة اسئلة تتعلق بحلقات المسلسل فتبين ان كل افراد عينة النقاش ترى ان مكونات المسلسل مفككة الرموز تحاول ترسيخ افكار بعينها في المجتمعات التي تتوجه اليها مثل(رهانات الغنى ،النزاعات العائلية ،قصص الحب الخ)وردات الفعل الساخطة التي تظهر بالنسبة الى شخصية JR الشخصية المركزية في المسلسل كما أظهرت الدراسات الى انجذاب الى بعض الاشخاص في المسلسل لاعتبارات معينة وقد كان اليهود السوفيت الاكثر هزا بالمسلسل كونه يكشف عيوب الراسمالية الامريكية وتناقضات الايديولوجية (ان الاشخاص ليسوا سعداء)فاصبح المسلسل محط جدال

ومقارنة مع مسلسلات هوليودية منافسة لها فكان هناك سوال توجه الى المبحوثين وهو (لماذا تتكلم كثيرا عن الاطفال في مسلسل دالاس ؟كان العرب هم الاسرع بالاجابة بان الاطفال هم صلب الشجار بين الورثة الذين يلعبون دور المراهن في اعادة الانتاج العائلي في حين يعد الامريكين الاطفال هم في الاساس مفيدين لكاتبي السيناريوهات فهم يسمحون لجعل المسلسل يطول) اما في اليابان التي تعتبر اكثر الشعوب استهلاكا للمسلسلات الامريكية التي يستطيعون انتقائها بالاستفتاء الشعبي والعنف يكون حاضرا على شاشاتهم لكن مجتمعهم مازال موسوما بالسيطرة الابوية اكثر من بقية شعوب الارض حيث يعرفون بتعلقهم بمثال من العلاقات اللطيفة المبنية على تناسق ظاهري للعلاقات العائلية وهو ما يمنع من متابعة مشاهد لمسلسلات العوائل الممزقة والمجردة من كل كياسة حيث مزج المسلسل بين الصورة الامريكية للعائلات وبشكل توافقي مع الصورة الابوية ونتج عن هذه الدراسة ان الجماهير تتأول امورا اكثر مما تفسرها تبعا لاصولهم ولتراثهم الثقافي، والدراسات التي اجريت في بلدان اخرى اظهرت نتائج مشابهة حيث تمكن ايان انج من البرهنة على ان الاهتمام الذي اظهره الهولنديون بالنسبة لهذا المسلسل كان مرتبطا بقوة بطبيعة مجتمعهم الليبرالي بعيدا عن تقديم وجه مجتمع تقليدي تظهر العائلة التكساسية كنموذج لعالم من العلاقات المهدمة البنية وفي ألمانيا أشار هيرتا هارزوج الى الرفض لشخصية JR كان يمثل السلطة الأبوية المستبدة لما يتمتع به من صفات ذات طبيعة عنيفة وتؤكد جويل في الجزائر ان احدى اسباب نجاح مسلسل دالاس كونه يرسل صورة لنموذج عائلي راسخ في التقاليد حيث تعاني المجتمعات المغربية اضطرابات عميقة في تقاليدها ويعمل دالاس كشيء انعكاسي يكون محزنا من الممكن رسم حدود لموضوع الامبريالية الثقافية بتحديد مميزات الافكار والقيم التي تبثها المسلسلات الوافدة في قطاع تصدير المسلسلات المتلفزة وحيث يوجد انتاج وطني وفير يميل الجمهور الى تفضيله على الانتاج الامريكي فاذا اعتمدنا مواجهة كتل ثقافية باسلوب تنافسي يجب الاستنتاج بان الابحاث الكبيرة حول القيم تعقد وفق تقارب الثقافات الوطنية وليس وفق النموذج الامريكي اذا وجد

وترتكز المسلسلات الامريكية على صور معروفة من (علاقات غرامية ،وعلاقات عائلية ،ومعارضة بين الخير والشر الخ)ولم يكن هذا النجاح ليحصل دون تعرض تلك المجتمعات لتقلبات قيمية اندماجا مع تاثيرات العصر رغم ان تاثيرات نجاح هذه المسلسلات متباينة من بلد الى اخر وفق الايديولوجية السائدة فيه اذن من الممكن رسم حدود الامبريالية الثقافية بتحليل مكنونات المسلسلات الامريكية وتحديد معالم التاثير المطلوب رغم ان المشاهد عندما يجد انتاجا محليا راقيا فانه يفضل على انتاج مستهلك الافكار حيث دلت الدراسات التي اجريت في السنوات (١٩٩٠-٢٠٠٠) ان الجمهور يميل االى الانتاج الوطني لكن هناك تحدي اخر ظهر ليعزز الامبريالية الثقافية وهو العاب البلي ستيشن وهي تعزز العولمة وتساهم في خلق ثقافة جديدة على مجتمعات العالم الثالث ففي عام ٢٠٠٢-٢٠٠٣ غزت هذه الالعاب الاسواق وتمكنت من السيطرة على اهتمامات فئات عريضة من الشباب المتطلع .

ويؤكد الدكتور سليمان صالح على صحة هذه النظرية بقوله (تجد هذه الكثير من الادلة على صحتها ذلك ان الاستعمار قد اضعف القدرات الاتصالية والاعلامية لدول اسيا وافريقيا وعندما استقلت هذه الدول اصبحت تعتمد بشكل مكثف على الانتاج الاعلامي والثقافي الأمريكي وهذا ادى الى تدهور ثقافات تقليدية وتناقص قدرتها على تحقيق التنمية والاكتفاء الذاتي نتيجة السيطرة الثقافية الأمريكية)

خامسا : نظرية التحيز الاعلامي :

ظهرت الدراسات الاولى لهذه النظرية في نهاية السبعينيات من القرن العشرين في الجامعات البريطانية لكنها قوبلت بالتهميش والتقليل من اهميتها لانها تكشف زيف النظام الليبرالي لوسائل الاعلام وعدم قدرته على التطبيق الواقعي للموضوعية التي هي نقيض "التحيز" فقد يتجاوز المحرر او الصحفي لجانب معين ضد آخر سواء بقصد او دون قصد ، فقد يكون الحديث احيانا عن جانب واحد ولا يتضمن جوانب او اطرافا متعارضة ، ومن الخطأ الاعتقاد ان التحيز يكون فقط بقصد او عن عمد فقد تكون صياغة الخبر متحيزة من دون قصد المحرر ، وينتج التحيز الاعلامي عن ظاهرتين هما :

١. نقص المعلومات التي تقدم للجماهير عن الاحداث والقضايا وهو الذي يزيد من حدة الصورة النمطية التي تقدمها وسائل الاعلام الى الجماهير.
٢. اساءة تقديم المعلومات او التضليل الاعلامي الذي ينتج عنه عدم دقة في تحرير الاخبار وصياغتها .

ويقصد بالتحيز (عدم العدالة في تغطية وسائل الاعلام للاحداث وانعدام الموضوعية في تغطيتها) ، ويعرف ماكويل التحيز انه الميل الى تفضيل احد جانبي الصراع ويتخذ عدة اشكال في التغطية الاعلامية وهي :

أ. تفضيل وجهة نظر معينة مع عرض الادلة على صحتها .
ب. عرض الحقائق والتعليقات بشكل مقصود ولكن دون بيان يوضح تفضيل وجهة نظر على اخرى .
ت. استخدام اللغة بشكل يؤدي الى تلوين الحقائق واصدار حكم معين على احد اطراف المناقشة او الصراع .

* وياتي التحيز باساليب متعددة منها :

١. اسلوب التنسيب : بمعنى ان المحرر ينسب الراي او المعلومة الى طرف غير محدد أو الى طرف محدد قد يكون متحيزا ، ولا ينسبها لنفسه رغم انه هو الذي جاء بالخبر .
٢. تحيز الوصف : بمعنى وصف الحدث او الاطراف باوصاف معينة ، فمن المعتاد صياغة الاخبار في وسائل الاعلام الصهيونية تصف الفلسطينيين بالارهابيين فضلا عن ان بعض وسائل الاعلام الغربية تصف الاشخاص الملتزمين بدينهم بالمتشددين او المتطرفين او الاصوليين .
٣. تحيز الراي : بمعنى ابداء رأي صريح في الحدث فقد يقع حادث مرور وياتي الخبر المعبر عن هذا الحدث منطويا على رأي من المحرر دون سند من الواقع بان الحادث تسبب فيه شخص او جهة معينة .
٤. التحيز السياقي : بمعنى التحريف في مضمون الرسالة ككل بما يناقض حقيقة الحدث او الموضوع .

٥. التحيز الظرفي : ويعني ان يضيف المحرر او المراسل تعليقا متحيزا على الحدث في صورة معلومات معينة ، او ان يعتمد التركيز على جانب معين في اداء الشخص المعني بالحدث ، وان الامثلة على ذلك كثيرة منها استخدام المعلومات في تذييل التقرير الاخباري بمعلومات عن حدث سابق مماثل تتلخص في ان جهة معينة سبق ان اتهمت في هذا الحدث (بما يوحي ان هذه الجهة هي التي قامت بالحدث الحالي وانه سبق اتهامها في حادث سابق) .

وللتحيز الظرفي امثلة كثيرة من خلال التركيز على جانب معين من اداء الشخص المعني بالحدث وابراز الدفاعات الضعيفة لهذا الشخص وتجاهل الدفاعات القوية .

ويبرز لنا واضحا دور الاعلام الغربي في التحيز ضد دول الجنوب الفقيرة وهي احدى الوسائل لاعادة استعمار هذه الدول ، اذ تعمل النظم الاعلامية لهذه الدول وفق ايدلوجية الصورة وتقوم بنقل صور مشوهة لدول الجنوب معتمدة على نقص المعلومات التي يمتلكها جمهور دول الشمال عن هذه الدول ، فيتعرض الجمهور الغربي لعملية تجهيل تجعله يتقبل المعلومات المشوهة دون مناقشة ، كذلك تمكنت وسائل الاعلام الغربية من تشكيل عقدة الدونية لدى الدول الفقيرة (دول الجنوب) كون هذه الشعوب تتلقى رسائل اعلامية بشكل دائم من وسائل اعلام تلك الدول وتشكل صورتها لذاتها من خلال هذه الرسائل اهمها العجز والتخلف والحاجة الى الآخر (دول الشمال) وعدم القدرة على تحقيق الديمقراطية وتكريس الشعور بالانكسار والهزيمة والحاجة الدائمة للمساعدة الغربية . وقد ادى التحيز في النظام الاعلامي الدولي ضد دول الجنوب الى التقليل من قدرتهم على تحقيق التنمية والتقدم والديمقراطية لان تحقيق هذه الاهداف يحتاج الى الشعور بالثقة والقدرة على تحقيقها وامكانية الكفاح من اجلها ، هذا فضلا عن الاحتكار الاعلامي لتلك الانظمة للمعلومات بنسبة ٨٠% التي تتدفق من الشمال الى الجنوب واحتكارها للصناعات الاعلامية والاتصال والمعلومات وهو ما اطلق عليه (

الاستعمار الثقافي) ، ومن نتائج هذا التحيز ان العالم اصبح يخضع للرؤية الامريكية للاحداث .

نتائج التحيز الاعلامي :

١. ان دول الجنوب اتجهت نحو الخصخصة وبيع مؤسساتها الاقتصادية وتزايد الفقر وانتشار البطالة وارتبط بيع المؤسسات بالفساد اذ تم بيع المؤسسات باسعار تقل بكثير عن قيمتها الحقيقية .

٢. اغلاق المجال امام الابداع الفكري والاقتصادي لتكون الرأسمالية هي البديل الوحيد.

٣. زيادة قوة النظم الراسمالية من خلال سيطرتها على المناخ الثقافي وانتشار ثقافة الاستهلاك وتحويل العالم الى سوق ضخمة للانتاج الراسمالي ، لذا نجد ارتباط الفجوة بين الجنوب والشمال في الموارد والامكانيات الاعلامية والاتصالية التي ساهمت مساهمة فعالة ببسط السيطرة الامريكية على النظام الاعلامي الدولي .

٤. تزايدت سيطرة الشركات العابرة للقارات على صناعة الاعلام وهي عشر شركات عملاقة تعمل في مجالات اقتصادية متعددة وعملت على تحويل الاعلام الى ادوات دعائية للنظام الرسمالي .

٥. ارتبط التحيز بتقييد حق الجماهير بالمعرفة وعدم قيام وسائل الاعلام بوظيفتها ، ويبرز ذلك باخفاء المعلومات وتضليلها.

٦. اختلاق اخبار واحداث غير حقيقية من قبل الجهات الحكومية للوقوف على رد فعل الراي العام .

ان اكتشاف التحيز في وسائل الإعلام يساهم في زيادة وعي الجمهور وزيادة قدرته على تحليل تغطية وسائل الإعلام للأحداث وتفسير هذه التغطية واتخاذ القرارات الصحيحة وتحويل الجمهور من جمهور سلبي يتلقى الرسائل ويتأثر بها دون قدرة على الاختيار والتحليل والتفسير الى جمهور ايجابي يتلقى رسائل وسائل الإعلام بناء على قرارات صحيحة ويتمكن من تحليل رموزها وتفسيرها .

ويقصد بالتحيز عدم العدالة في تغطية وسائل الإعلام للأحداث وانعدام الموضوعية في تغطيتها لهذه الأحداث وبناء على ذلك فهنالك نوعان من التحيز :

- ❖ تحيز مقصود
- ❖ تحيز غير مقصود

مفهوم التحيز :عرف ماكويل التحيز انه الميل الى تفضيل احد جاني الصراع ثم يستعرض عددا من اشكال التغطية الاعلامية التي يظهر فيها التحيز على النحو التالي :

أ – تفضيل وجهة نظر معينة مع عرض الادلة على صحتها

ب –عرض الحقائق والتعليقات بشكل مقصود ولكن بدون بيان يوضح تفضيل وجهة نظر على اخرى

ت –استخدام اللغة بشكل يؤدي الى تلوين الحقائق واصدار حكم معين على احد اطراف المناقشة او الصراع

نشأة النظرية :

كانت البدايات الاولى لنظرية التحيز الاعلامي في نهاية السبعينيات من القرن الماضي في جامعة جلاسجو البريطانية لكنها واجهت التقليل من اهميتها لانها تكشف زيف النظام الليبرالي لوسائل الاعلام وعدم قدرته على التطبيق الواقعي لتلك الاسس وركز على وصف التحيز في وسائل اعلام معينة معظمها بريطانية لذلك غلب عليها النظرة الجزئية .

وتتضح مخاطر النظرية في الجوانب الاتية :

١)التحيز ضد دول الجنوب حيث يستخدم الاعلام كوسيلة لاعادة استعمار هذه الدول

٢)تعمل على تشكيل النظم الايديولوجية للصور حيث تقوم وسائل الاعلام بنقل صور تم اختيارها بعناية طبقا لوجهات نظر جاهزة في الكثير من القضايا

وهذه الصور تقع خارج المعرفة الشخصية للجمهور لذلك فهو يعتمد على وسائل الاعلام في الحصول على الصور في القضايا العالمية .وهذا يعني الارتباط بين نقص المعلومات عن قضايا الجنوب والاحداث التي تقع من ناحية والصور التي شكلتها وسائل الاعلام والتي يبنى على اساسها مواقفه ،حيث يتعرض المواطن في الغرب لعملية تجهيل تجعله يتقبل بدون مناقشة الصور التي يقدمها النظام الاعلامي الدولي والتي تحفز على العداء لدول الجنوب الفقيرة .

٣)كما تشكل عقدة الدونية لدى دول الجنوب كون هذه الشعوب تتلقى بشكل دائم رسائل اعلامية تشكل صورتها لذاتهاولدول الجنوب الاخرى بسمات من اهمها العجز والتخلف والحاجة الى الاخر (الشمالي)وعدم القدرة على تحقيق الديمقراطية وتكريس الشعور بالانكسار والهزيمة والحاجة الدائمة للمعونة الغربية

٤)لقد ادى التحيز في النظام الاعلامي الدولي ضد الجنوب الى التقليل من قدرتهم على تحقيق التنمية والتقدم والديمقراطية لذلك فان تحقيق هذه الاهداف يحتاج الى الشعور بالثقة والقدرة على تحقيقها وامكانية ذلك والكفاح من اجلها

٥)ان دول الشمال تحتكر المعلومات وتشكل ٨٠% من المعلومات التي تتدفق عبر العالم وتحتكر صناعة الإعلام والاتصال وهو ما أطلق عليه الاستعمار الثقافي

ومن نتائج هذا التحيز ان العالم أصبح يحصل على الرؤية الأمريكية للأحداث فقط

كما نتج عن التحيز بروز ظاهرتين هما:

أ – نقص المعلومات التي تقدم للجماهير عن الأحداث والقضايا والصراعات الداخلية وهو الذي يزيد من حدة تأثير الصورة النمطية التي تقدمها وسائل الإعلام الى الجماهير

ب –إساءة تقديم المعلومات او التظليل الإعلامي الذي ينتج عنه اتخاذ الجمهور قراراتهم بناء على ما تحدده المؤسسات الإعلامية وما تقدمه من معلومات وأسلوب تقديمها لهذه المعلومات

وتفرع عن هاتين الظاهرتين عدة قضايا كان لها الاثر البالغ بالمجتمعات المعاصرة من اهمها :

١) ان دول الجنوب اتجهت نحو الخصخصة وبيع مؤسساتها الاقتصادية مما ادى الى تزايد الفقر وانتشار البطالة وارتبط بيع المؤسسات باسعار تقل عن قيمتها الحقيقية

٢) اغلاق المجال امام البشرية لابداع نظم اقتصادية جديدة ومتميزة لان الراسمالية اصبحت هي البديل الوحيد المتاح

٣) كذلك زيادة قوة النظام الراسمالي وتشكيل المناخ الثقافي وانتشار الثقافة الاستهلاكية وتحويل العالم الى سوق ضخمة للانتاج الراسمالي ،لذلك ارتبط تزايد الفجوة بين الجنوب والشمال في الموارد والامكانيات الاعلامية والاتصالية وساهمت السيطرة الامريكية على النظام الاعلامي الدولي في تزايد هذه السيطرة وتوسيع الفجوة بينهما.

٤) ارتبط التحيز الإعلامي بتزايد سيطرة شركات عابرة القارات على صناعة الإعلام وهي عشرة شركات عملاقة تعمل في مجالات اقتصادية متعددة فقامت بتحويل وسائل الإعلام إلى أدوات دعائية للنظام الرأسمالي ولفرض الاستعمار الجديد

٥) ارتبط التحيز بتقييد حق الجماهير في المعرفة وعدم قيام وسائل الإعلام بوظيفتها ككلب حراسة طبقا للنظرية الليبرالية ويبرز في هذا

قيام وسائل الإعلام الغربية بإخفاء الانحرافات وأشكال الفساد في الشركات الأمريكية

٦) ومن مظاهر التحيز هو تناقص المشاركة السياسية وتناقص اهتمام الجماهير الأمريكية بالسياسة وتزايد دور الشركات عابرة القارات في صناعة نجوم السياسة والترويج لهم ودفع الجماهير الى انتخابهم إضافة الى تناقص الرقابة العامة على أداء المؤسسات السياسية الأمريكية خاصة في البيت الأبيض

وتقوم النظرية الليبرالية على مفهوم ان وسائل الاعلام هي خصم للحكومة تراقب ادائها وتكشف انحرافاتها وتبحث عن الحقائق لتقدمها للناس لكن في ضوء نظرية التحيز نجد ان وسائل الإعلام أصبحت أداة بيد السلطة السياسية متمثلة بالنظام الامريكي المهيمن على وسائل الاعلام ويظهر ذلك بالاشكال الاتية :

- ❖ الاعتماد المكثف على المصادر الرسمية في الحكومة الامريكية حيث يوفر النظام الاعلامي الدولي تغطية عالمية واسعةلوجهة النظر الامريكية ولرؤيتها للاحداث من خلال الاعتماد على البيت الابيض ووزارة الخارجية الامريكية والبنتاجون حيث ان ثلثي البرامج الاخبارية في محطات التلفزيون الامريكية تركزبعلى رئيس الولايات المتحدة وبعض مؤسسات الحكومة الفيدرالية والمسؤولون الامريكيون هم المصادر الاساسية لاكثر من ثلث الاخبار التي تظهر في الصفحات الاولى للصحف الامريكية فهل وسائل الاعلام الامريكية حرة ام انها اصبحت ادوات بيد السلطة للتحكم بالري العام
- ❖ ان وسائل الإعلام تقوم بإخفاء المعلومات وعدم تغطية الأحداث التي تتعارض مع المصالح الأمريكية او مع وجهة النظر الأمريكية الرسمية

ويرى خبراء الاتصال ان البيت الأبيض أصبح بإمكانه قتل التغطية لوسائل الإعلام للقضايا الخلافية عن طريق حجب المعلومات وتظليل الرأي العام فتحولت وسائل الإعلام الى وسائل دعاية سياسية بيد المسوؤلين الامريكين بهدف السيطرة على المعلومات الحيوية .

ومن مظاهر التحيز الاعلامي كذلك ان اول شيء يجب ان يتعلمه الصحفي هو ان الفقرة الاولى هي القصة مثيرة وجذابة والفقرة الثانية تتضمن زاوية امريكية أي ان امريكا تتدخل لتوجيه الحدث وعندما لايكون لامريكا علاقة فان الصحفيين يتجهون الى وزارة الخارجية الامريكية ليطلبوا تعليق المسؤلين على الحدث وهذا يؤدي الى تركيز القوة الاخبارية في الولايات المتحدة وهذا يوضح كيف حرمت وسائل الاعلام الامريكية الجمهور من حقه في المعرفة وعملت على اخفاء المعلومات وحجبها ووجهت الراي العام لتاييد الادارة الامريكية حيث لم تعد الصحافة سلطة رابعة ،كما عملت وسائل الاعلام الامريكية على تطوير مجموعة من القواعد التي تحكم عمل الصحفيين الامريكين وكان من اهمها ان كل قصة خبرية يتم تغطيتها او نشرها يجب ان يكون فيها زاوية امريكية .

انواع التحيز في النظام الاعلامي الدولي :

١) التحيز للشمال ضد الجنوب
٢) التحيز للراسمالية
٣) التحيز للنظام الليبرالي
٤) التحيز للادارة الامريكية
٥) التحيز للنخبة والاقوياء
٦) التحيز العنصري :لان النظام الاعلامي الامريكي العالمي يتعامل مع الشعوب باحتقار ويقلل من قيمتها الانسانية كما يحول كل الشعوب الى عناصر تافهة ليس لهم حق الحياة وهذا التحيز نجده واضحا في معظم

الانتاج الاعلامي والثقافي الذي تقدمه وسائل الاعلام والاخطر من ذلك هو تصوير الحضارة انها من صنع البيض وحدهم ويقوم الانتاج الاعلامي في الغرب على احتقار الشعوب الاخرى وخاصة السود منهم حيث تربط وسائل الاعلام الغربية دائما بين السود والجريمة والقمار وانهم يشكلون تهديدا للثقافة وللقانون ونتجت هذه الصورة عن تاريخ الاستعباد والتبشير وكان الربط الدائم بين الحضارة وبياض البشرة هو إنكار للحضارات الأخرى وتقليل من قيمة الإسهام الحضاري للأمم الأخرى

٧) التحيز للاسرائيل ضد العرب –ونتج عن ذلك بتعريف الحضارة الغربية انها حضارة يهودية مسيحية حيث يواجه من ينتقد اسرائيل بالعداء للسامية وهو اتهام يقضي على مستقبله السياسي والاعلامي لذلك اصبحت اسرائيل فوق النقد وفي نفس الوقت تمارس وسائل الاعلام الغربية لابادة الرمزية ضد الفلسطينين حيث يتم نفيهم من التاريخ ولايتم تغطية ما يتعرضون له من مذابح وماسي انسانية على يد اسرائيل بل وصل الامر للاحد الكتاب الامريكين واسمه كارل توماس في جريدة نيويورك تايمز ان دعا الى التطهير العرقي للفلسطسنين في اسرائيل والاراضي المحتلة وطردهم الى الدول العربية المحيطة وذلك في عام ٢٠٠١ في الوقت الذي تعرض فيه ديفيد ايرفنج للحصار الاعلامي وفقد مستقبله الاكاديمي لانه اوضح بالادلة العلمية زيف ادعاءات اسرائيل حول الهولوكوست كما ان هذا المؤرخ قد تعرض للضرب والتهديد بالقتل ولم تنشر بحوثه التي قدم فيها الادانة من واقع سجلات المخابرات الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي على ان قصة الهولوكوست مبالغة وغير حقيقية بهدف اقامة دولة اسرائيل

وهناك عدة عوامل تلعب دورها في تشكيل ظاهرة تحيز الانباء منها :

١) روتين المؤسسات الاعلامية

٢) القيود المفروضة على عملية انتاج المواد الاعلامية

٣) القيم الخبرية

كما ان بعض الصحفيين يحملون افكارا وايديولوجيات فهم لايستطيعون ان ينقلو الاخبار ويصفوا الاحداث بشكل موضوعي بعيدا عن مؤثرات السياسين